مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

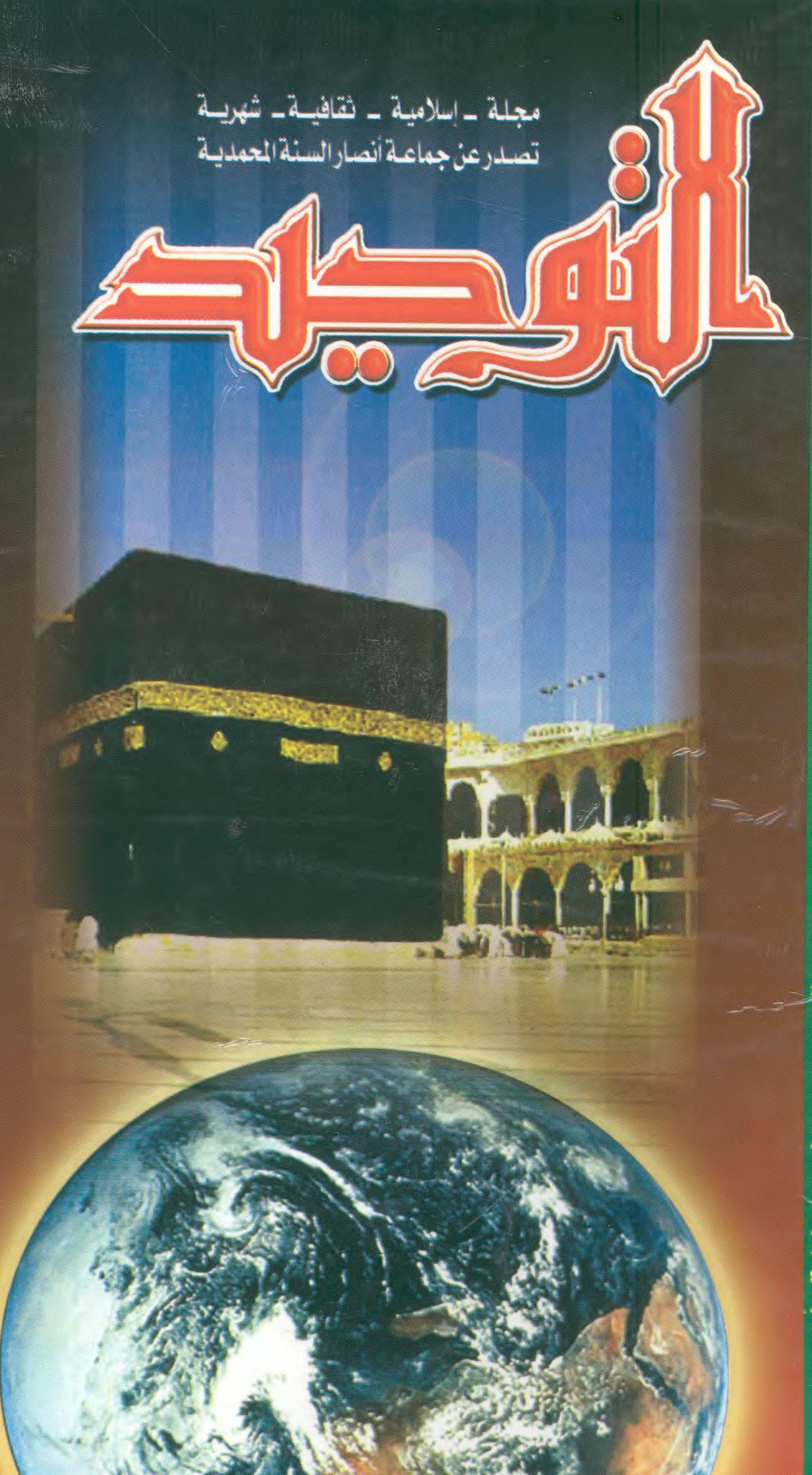
التوحيد

العدد ٤٠٨ - السنة الرابعة والثلاثون - ذو الحجة ١٤٢٦هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

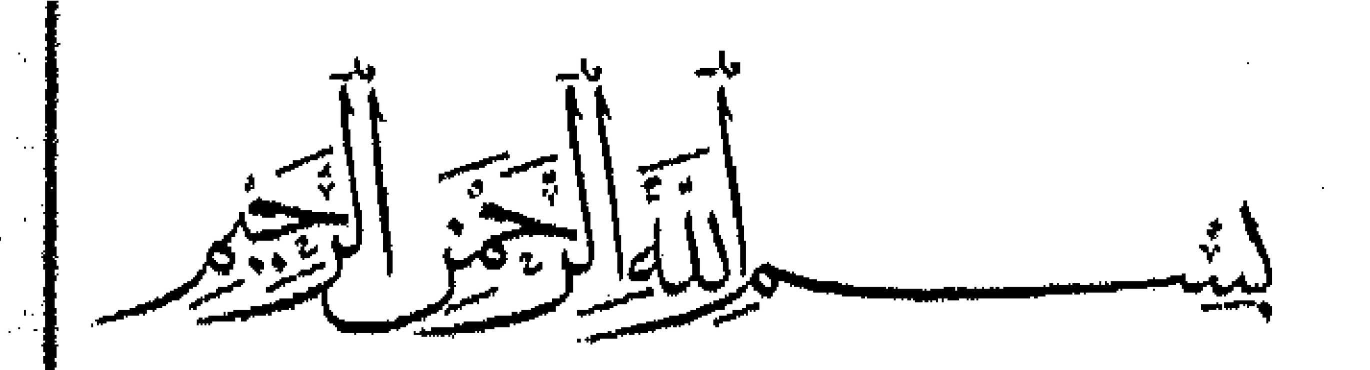
ملف العدد:

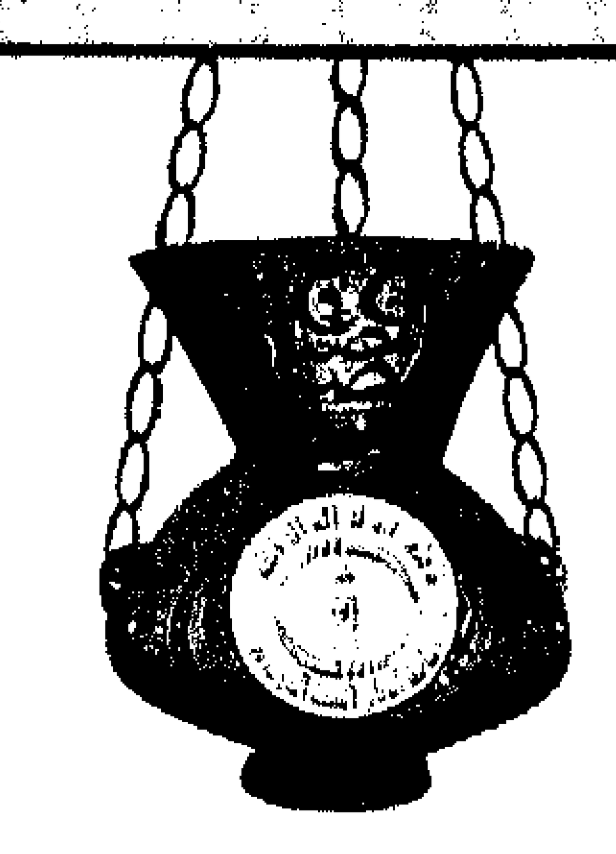
مدرسة الحج وموسم الطاعات

الشريعة الإسلامية والمادة الثانية من الدستور



رضاع الكبير





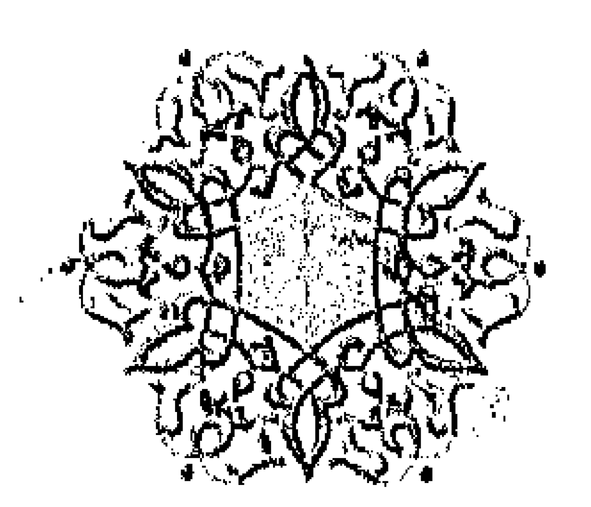


إسلامية - ثقافية - شهرية

السنة الرابعة والثلاثون

العدد ٤٠٨ - ذو الحجة ١٤٢٦هـ

الثمن ١٥٠ قرشًا



السلام عليكم

القلوب الحية

كان الشاعر العربي «الحُطيئة» سليط اللسان كثير الهجاء، حتى لم تسلم أمه من هجائه، بل ولا نفسه التي بين جنبيه، ولقد ذكر عنه الأصمعي أنه هجا صاحبه «الزبرقان» فغضب الزبرقان واستعدى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعا عمر حسان بن ثابت وقال له: أتراه هجاه؟ قال: نعم، فحبسه عمر، فقال الحطيئة وهو محبوس يناشد عمر أن يطلق سراحه، لأجل أولاده الذين تركهم كالأفراخ بلا ماء ولا طعام.

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرْخٍ
زُغْبِ الحواصلِ لا ماءُ ولا شجرُ

ألقيتَ كاسِبَهُم في قَعْرِ مُظلمةٍ
فاغفر عليك سَلامُ اللهِ يا عمرُ

فبكى عمر وأطلق سراحه.

التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com

موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com

موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة

ت: ٣٩٣٦٥١٧٠ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).


٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

في هذا العدد



التوزيع الداخلي
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يزال حديثنا موصولاً مع ذكر الله عز وجل.

وحيث إننا في أيام مباركات، ومناسك فيها نفحاتٌ وبركاتٌ وكراماتٌ، فكان الواجب أن نربط حديث الذكر بهذه الأيام والمناسك والبركات.

الذكر في الصلاة والحج

لا شك عند كل ذي علم وبصيرة أن العبادات ما شُرعتْ إلا لإقامة ذكر الله عز وجل.

قال الله تعالى لنبيه وكليمه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

والمعنى: أقم الصلاة لتذكرني بها، وقيل: وأقم الصلاة عند ذكرك لي.

[تفسير البغوي وابن كثير عن مجاهد ومقاتل]

والصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو ذكر الله عز وجل، وقد قال النبي ﷺ: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

[مسلم كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة] (ح٨٣٦)

وقال ﷺ عن المساجد التي هي مواضع الصلاة: «إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن».

[مسلم كتاب الطهارة ح٤٢٩]

وفي الصحيحين: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾».

وهذا وجه آخر لتفسير الآية ذكره ابن كثير وغيره.

والصلاة من أولها إلى آخرها ذكر ودعاءٌ وثناءٌ ومناجاة بين العبد وربه، فمفتاحها التكبير، وتحليلها التسليم، وبين ذلك دعاء الاستفتاح وقراءة الفاتحة وما تيسر من القرآن وأذكار الركوع والسجود والاعتدال والتشهد والصلاة على النبي ﷺ والتعوذ دبر الصلاة والدعاء، وبعدها أذكار الختام، والدعاء إليها ذكر وإجابة المؤذن الداعي إليها ذكر، وفيها من معاني الاستجابة لله والتلبية لدعائه ما لا يفطن إليه إلا كل ذاكر حاضر القلب ليس بغافل ولا ساهٍ لذا يقول المصلي في استفتاحها: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، استغفرك وأتوب إليك». وإذا ركع المصلي (معظمًا ربه مسبحًا منزهًا إياه) يقول: «اللهم لك ركعت وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي

وعصبي».

وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد».

وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين». ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررتُ وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت».

[رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين، ح رقم ١٢٩٠]

فما أعظم هذا الذكر، وما أجمل هذه المناجاة من قلب يعي ما يقول، ويعرف عظمة من يناجي، فيخشع ظاهرًا وباطنًا ويخضع راضيًا مطمئنًا، ويمتزج هذا الخشوع بدمه وعظمه وعصبه ومخه، ويظهر على سمعه وبصره، فيكون الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، يوالي الله ويوالي في الله، ويعادي من عاداه، يحب الله ويجد قرة عينه في الصلاة، ويحب لله وفي الله، فهذا هو ولي الله الذي يدفع الله عنه ويغضب لغضبه ويؤذن من عاداه بالمحاربة، ويستجيب دعاءه وإذا أقسم على ربه وخالقه ومولاه أبر الله قسمه، وإن لم يكن من وجهاء الناس: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

وكذلك الحاج يأتي ربه ذاكرًا ملبيًا مستجيبًا، قد تجرد من دنياه، وترك بلده وأرضه وأهله وثياب زينته، وأقبل على الله أشعث أغبر مُحْرِمًا، يلبي ويكبر، ويدعو ويستغفر، ويقف عند المشاعر وقد تملكته مشاعر الحب والرغبة والرهبة والخوف والرجاء، ولا يفتر قلبه ولا لسانه عن ذكر ربه وخالقه ومولاه.

وقد أمر الله عز وجل الحاج بذكره، وكرر الأمر في مواضع من كتابه العزيز، حتى لا تكاد تجد آية في كتاب الله عز وجل تخاطب الحاج إلا وتجد فيها الأمر بذكر الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٨- ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٧-٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج:٣٤-٣٦].

ويبدأ الحاج ذكر الله عند إحرامه فيسمي نسكه حجًا كان أو عمرة، مفردًا أو متمتعًا أو قارنًا بين الحج والعمرة، ويُهل ويلبي بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». ويرفع صوته بالتلبية حتى يأتي البيت فيطوف بالكعبة سبعًا ويصلي ركعتي الطواف ثم يسعى بين الصفا والمروة وهو في ذلك كله لا يفتر لسانه عن ذكر الله عز وجل بما يفتح الله عليه من الذكر والدعاء والابتهال والمناجاة.

ثم يخرج إلى منى يوم التروية محرمًا يوم الثامن من ذي الحجة فيصلي بها يقصر الصلاة الرباعية، ثم يتوجه إلى عرفات صبح يوم التاسع فيقف بها ذاكرًا داعيًا متخشعًا ويصلي بها الظهر والعصر قصرًا وجمعًا ذاكرًا ربه على الهداية إلى الدين الحق، وإلى النسك الذي يقرب من الله عز وجل، ثم يفيض الحجيج من عرفات إلى المزدلفة فيبيتون بها، ويصلون بها المغرب مع العشاء جمعًا وقصرًا للرباعية، ثم يكثرون من الذكر والاستغفار والدعاء عند المشعر الحرام، ثم يتوجه الحجيج إلى منى يرمون الجمار ويذبحون- ينحرون- الهدي ذاكرين اسم الله عليه شاكرين الله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، يُكبرون في أيام منى بعد الصلوات، وعند رمي الجمرات في الأيام المعدودات، فإذا طافوا للإفاضة فقد تم الحج ولم يبق إلا وداع البيت بطواف الوداع، فإذا قضى الحاج المناسك كلها لم يغفل عن ذكر ربه، بل يذكره بطاعته وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويغار لحرمات الله أن تنتهك أكثر من غيرته على حرمة آبائه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وهكذا فالحاج لا ينفك عن ذكر ربه عز وجل أبدًا، ويظل على سبيل الذاكرين وطريقتهم بعد قضاء المناسك، بل يبقى لسانه رطبًا من ذكر الله عز وجل، فيذكر الله عز وجل في سفره في العودة والإياب كما ذكره في الذهاب.

«اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وسوء المنقلب وكآبة المنظر في المال والأهل، اللهم هون

علينا سفرنا هذا واطوعنا بُعْده، اللهم ارزقنا في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى».

«آيبون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون».

وعلى قدر ذكر الله عز وجل في العبادة يكون الأجر والفضل؛ ففي المسند أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أي المجاهدين أعظم أجرًا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: أكثرهم لله ذكرًا.

قال: فأي الصائمين أكثر أجرًا؟

قال: أكثرهم لله ذكرًا.

ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك رسول الله ﷺ يقول أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرًا.

فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل». [المسند ح١٥٠٦١]

والحديث في إسناده ضعف، لكن له شاهد مرسل صحيح رواه ابن المبارك في الزهد، وله شاهد مرسل عند ابن أبي الدنيا وهو بشواهده صالح للاحتجاج، ومعناه الذي دل عليه حق لا ريب فيه، فأفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عز وجل كما ذكر ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب من الكلم الطيب.

[فقه الأدعية والأذكار ج١ ص٣٥- ٣٧]

ذكر الله في عشر ذي الحجة:

وهي الأيام المعلومات التي أمر الله عز وجل فيها بالذكر فقال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، فقيل: إن المراد ذكر الله عند ذبحها وهو حاصل يوم النحر فإنه أفضل أيام العشر.

والأصح أنه إنما أريد ذكره شكرًا على نعمة تسخير بهيمة الأنعام لعباده، فإن لله تعالى على عباده في بهيمة الأنعام نعمًا كثيرة، قد عدَّد بعضها في مواضع من القرآن كما في أول سورة النحل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥- ٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١، ٢٢].

وللحجيج في ذلك خصوصية عن غيرهم فإنها تحملهم إلى الحرم لقضاء نسكهم، ويأكلون من لحومها ويتصدقون.

وفي الحديث الصحيح: «أفضل الحج العج والثج»، والعج هو رفع الصوت بالتلبية والذكر، والثج هو إراقة دم الهدي فيكون كثرة ذكر الله عز وجل في أيام العشر شكرًا على هذه النعمة المختصة ببهيمة الأنعام.

أما الأيام المعدودات فهي أيام التشريق، أيام منى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، ويستقر فيها الحجيج في منى ويبيتون بها يرمون الجمار ويذكرون الله عقب كل صلاة بالتكبير، وأفضلها يوم القر وهو أولها وهو اليوم الحادي عشر، ثم يوم النفر الأول وهو أوسطها يتعجل فيه بعض الحجيج، ثم يوم النفر الثاني وهو آخرها، وفي الحديث الصحيح: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر».

وذكر الله تعالى المأمورُ به في أيام التشريق أنواع متعددة منها: ذكر الله تعالى عقب الصلوات المكتوبات بالتكبير في أدبارها وهو مشروع إلى آخر أيام التشريق عند جمهور العلماء، وقد روي عن عمر وعلي وابن عباس وفيه حديث مرفوع في إسناده ضعف.

ومنها: ذكره بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك، فإن وقت ذبح الهدايا والأضاحي يمتد إلى آخر أيام التشريق عند جماعة من العلماء، وهو قول الشافعي ورواية عن أحمد وفيه حديث مرفوع: «كل أيام منى ذبح». وفي إسناده مقال، وأكثر الصحابة على أن الذبح يختص بيومين من أيام التشريق مع يوم النحر وهو المشهور عن أحمد وهو قول مالك وأبي حنيفة والأكثرين.

ومنها: ذكر الله على الأكل والشرب فإن المشروع في الأكل والشرب أن يسمي الله في أوله ويحمده في آخره، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إن الله عز وجل يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها».

وقد روي أن من سمى على أول طعامه وحمد الله على آخره فقد أدى ثمنه ولم يسأل بعد عن شكره.

ومنها: ذكره بالتكبير عند رمي الجمار في أيام التشريق وهذا يختص به أهل الموسم.

ومها: ذكر الله عز وجل المطلق فإنه يستحب الإكثار منه في أيام التشريق، وقد كان عمر يكبر بمنى في قبته فيسمعه الناس فيكبرون فترتج منى تكبيرًا، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

وقد استحب كثير من السلف كثرة الدعاء في أيام التشريق، قال عكرمة: كان يستحب أن يقال في أيام التشريق: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وعن عطاء قال: ينبغي لكل من نفر أن يقول حين ينفر متوجهًا إلى أهله: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

[خرجهما عبد بن حميد في تفسيره]

وهذا الدعاء من أجمع الأدعية للخير، وكان النبي ﷺ يكثر منه، وروي أنه كان أكثر دعائه. [لطائف المعارف]

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

كلمة التحرير

الشريعة الإسلامية والمادة الثانية من الدستور

إعداد
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وبعد:

نستقبل على الأبواب شهرًا عظيمًا مباركًا، ندخل في شهر ذي الحجة، والعبادة فيه ليست منحصرة بالحجيج، فقد هيأ الله رب العالمين للمسلمين أن يكسبوا الثواب العظيم تلو الثواب، في العشر الأوائل من ذي الحجة، التي لها فضل كبير من الله سبحانه وتعالى على غيرها من الأيام والليالي، وأقسم الله عز وجل بهذه الليالي لبيان فضلها ولتعظيم شأنها بقوله: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر:١-٣].

وعلى الأبواب أيضًا نستقبل عامًا ميلاديًا جديدًا. بعد أن طوى عام مضى صفحاته بكل ما حمل من آلام ومكائد من تدبير الحاقدين على الإسلام والمسلمين، والإسلام مستهدف، والحرب الصليبية المبطنة تطل برأسها كالأفعى من كل اتجاه، والتطاول على الإسلام والمسلمين للنيل منهم يتكرر جهارًا نهارًا دون أن يحرك ذلك في الناس ساكنًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

المطالبة بإلغاء الشريعة الإسلامية من الدستور

ومع اقتراب غروب عام ميلادي وقدوم عام آخر تطل علينا أفعى من أفاعي المراكز الإسرائيلية المشبوهة التي تدعي بأنها تهتم بأحوال المصريين، وتعمل على نشر الحرية في أوطانهم، وتضع حرية الاعتقاد على رأس أولوياتها، وحماية الأقليات هدفًا ساميًا، وضمن الأهداف السامية التي تصبو إليها هذه المراكز المشبوهة هي إلغاء الشريعة الإسلامية من الدستور، وقد سمعنا ورأينا هذا المحامي الذي أقام دعوى قضائية غير مسبوقة في تاريخ مصر البلد الإسلامي، مصر الأزهر، بالطعن في دستورية المادة الثانية من الدستور والتي تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، بل ويزعم أنها تتعارض مع نص المادتين ٤٠، ٤٦ من الدستور، وتتعارض أيضًا مع مبادئ الشريعة ذاتها، وتخلق تمييزًا بين المواطنين، ولا يمكن أن يسنَّ في وجودها قانون يحقق المساواة بين المسلمين والأقليات غير المسلمة.

كما قال المحامي أيضًا في دعواه إن المادة الثانية تخالف مواد الدستور والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وزاد بأن استشهد ببعض الآيات من القرآن الكريم مثل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾، و﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وقد تصادف بعيدًا عن نظرية المؤامرة أن المحامي المذكور الحريص على التحقق من مساواة المواطنين، وعدم مخالفة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أنه قد اتفق في الأهداف والتوجهات مع باحثة أمريكية بمركز دراسات إسرائيلي يسمى مركز الدراسات العالمية للشئون الدولية ومقره إسرائيل!!

والباحثة المذكورة تقول: إن الدستور لا يحمي حرية الاعتقاد، بل يضع الكثير من العوائق التي تجعل تحقيق هذه الحرية أمرًا مستحيلا.. وطالبت كغيرها بممارسة المزيد من الضغوط من أجل

ما تسميه توجيه الأنظمة نحو الديمقراطية!!

والباحثة ترسم الطريق لتحقيق ذلك بالاعتماد على المؤسسات المالية الدولية لإجبار تلك الأنظمة على خلق بيئة تسمح بالتسامح الديني والمساواة، وتؤكد أن وجود هذه المادة في الدستور تقف حائلا ضد حرية الاعتقاد والعبادة، وتتعارض مع مواد أخرى من الدستور مثل المادة «٤٠» و«٤٦» حيث تشير المادة ٤٠ من الدستور إلى أن المواطنين لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة، والكلام مازال للباحثة المذكورة.

والمادة «٤٦» التي تشير إلى أن الدولة تكفل حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية.

واستشهدت أيضًا في بحثها بوجهة نظر فرج فودة الذي لقى مصرعه على أيدي الجماعات الإسلامية فيما يتعلق بوجهة نظره في الحريات الدينية في مصر، وأن الدستور المصري لم يكفل هذه الحريات.. مشيرة إلى أن تعديل المادة بشكلها الحالي عام ١٩٨١م لتصبح الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع هو دعم لدور الشريعة الإسلامية لتكون السيادة في الدولة للمعايير الإلهية وليس للسيادة العامة كما هو متبع في الدول الغربية!!

أكاذيب الباحثة الصهيونية

وقول الكاتبة أن المادة الثانية من الدستور لا تتسق مع المواد الأخرى التي تقر بمبدأ المساواة قول خاطئ تمامًا لأنه لا تناقض بين مواد الدستور لأن من مبادئ الشريعة التي تنص عليها المادة الثانية المساواة، ونفس هذا المبدأ هو الذي تنص عليه مواد الدستور الأخرى فأين عدم الاتساق إذن؟؟ وفرج فودة ليس حجة، وقوله ليس مسلمًا به، فحرية الاعتقاد مكفولة ولم تتأثر على الإطلاق بالمادة الثانية من دستور ١٩٧١م، لأن من مبادئ الشريعة الإسلامية الحرية الدينية طبقًا لنص قرآني وهو قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ والمعول عليه في تحديد هذه الحرية الدينية هو نصوص القرآن الكريم وليس كلام فرج فودة.

وإذا كان الدستور قد نص على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام، والإسلام عقيدة تتبعها شريعة تنظم حركة الإنسان في حياته، ومن ثم فإن النص في الدستور على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع يطابق المادة التي تقول: إن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، فلا يمكن أن يكون دين الدولة هو الإسلام ثم تطبق أحكامًا غير مستمدة من الإسلام، ومن ثم لا يجوز شرعًا حذف هذه المادة من الدستور لأن إقرارها بالتعديل الذي تم سنة ١٩٨١م كان تصحيحًا لوضع خاطئ، بالإضافة إلى أنها ترجمة حقيقية لكون الإسلام هو الدين الرسمي للدولة فهو حصن أمان لتنقية القوانين الوضعية.

ومصر على مر العصور لم تمنع ذميًا من حرية عقيدته، ووجود هذه المادة صمام أمان لغير المسلمين لأن القوانين نوعان: قانون سماوي وقانون وضعي فإذا اختفى القانون السماوي وحل محله القانون

كلمة التحرير

كلمة التحرير

العبادة في شهر ذي الحجة ليست قاصرة على الحجيج، فقد هيأ الله رب العالمين لعموم المسلمين أن يكسبوا الثواب العظيم تلو الثواب

الوضعي فما أسهل أن يأتي قانون وضعي يضر بمصالح غير المسلمين وهو ما لا يمكن أن يحدث في ظل وجود القانون السماوي وإمكانية إلغاء أو تعديل أي مادة من مواد الدستور ليست من البساطة فلا يوجد شيء في الدنيا اسمه دعوى قضائية لإلغاء مادة من مواد الدستور، وإنما يستلزم الأمر إما اقتراحًا من رئيس الجمهورية، وإما طلبًا من ثلث أعضاء مجلس الشعب، وفي جميع الأحوال يناقش المجلس مبدأ التعديل، ويصدر قراره في شأنه بالأغلبية، فإذا رفض الطلب لا يجوز إعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضي سنة على هذا الرفض، وإذا وافق مجلس الشعب على مبدأ التعديل تناقش - بعد شهرين من تاريخ الموافقة المواد المطلوب تعديلها، فإذا وافق على التعديل ثلثا أعضاء المجلس عرض على الشعب لاستفتائه في شأنه وهذا هو ما تنص عليه المادة ١٨٩ من الدستور، ولا يمكن إجراء أي تعديل دستوري دون المرور بهذه الإجراءات.

وإن طرح هذه المادة للتعديل أو الإلغاء يمثل خطًا أحمر لا يمكن الاقتراب منه ويمثل عيبًا، وخرقًا وتفريطًا في الهوية الإسلامية، ويهدد بتفجير الوطن وإشعال نيران التطرف والإرهاب، وإثارة القلاقل، لأن هذه المادة تسد الباب أمام الدعاوى بأن مصر لا تحكم بما أنزل الله وأن مجرد طرحها والحديث عن تعديلها يفتح أبواب الجحيم، ويهدد استقرار الوطن وهذا هو الهدف من إثارتها في الوقت الحالي.

من مبادئ الشريعة الإسلامية الحرية الدينية طبقًا لنص قرآني وهو قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ والمعول عليه في تحديد هذه الحرية الدينية هو نصوص القرآن الكريم والسنة وليس غيرهما

أحقر هجوم تشنه الأفاعي على الرسول ﷺ

وقد سمعنا وقرأنا في الأيام الماضية وشاهدنا رسومًا كاريكاتيرية حقيرة تنشر في بعض الصحف الدنماركية، والتي تحمل إهانة وسبًا واضحين لرسول الله ﷺ، متهكمين على أشرف الخلق على صفحات جرائدهم الفاجرة على نبينا محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين تحت زعم «حرية التعبير والرأي» في صحافة بلاد لا تعرف من حرية الرأي سوى أسوئها، ولا تعرف من حرية التعبير سوى التعبير الفاضح عن مواقف الحقد والغل الكامنة داخل النفوس المعادية لدين الله ولرسوله ﷺ على مرأى ومسمع من الدنيا كلها وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والحملة الوقحة بدأت بمقال لرئيس تحرير جريدة «اليولاندبوستن الدنماركية» حيث أشار الكاتب إلى أن المسلمين يميلون في غالبيتهم إلى الهدوء والعيش المطمئن في هذه البلاد «٢٠٠ ألف مسلم يعيشون في الدنمارك بين سكان البلاد البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة» لم يشعروا بغضاضة تجاه النقد الموجه للإسلام. يحاول الكاتب تحييد المسلمين المتواجدين في الدنمارك حتى يحقق غايته في التهجم على رسول الله ﷺ.

ويرى الكاتب أن المشكلة تكمن فيمن وصفهم بالكلاميين، القادمين بأفكار من العصور الوسطى، والذين يعانون من جنون العظمة ويحتكرون سلطة التأويل الديني، الذين وصفهم بأنهم يعانون من حساسية مفرطة تجاه أي نقد يوجه لأشخاصهم، ويحملون النقد فوق ما يحتمل ويعتبرونه نقدًا لكتابهم «يقصد القرآن الكريم» وسنة النبي ﷺ.

لماذا الصمت على سب الرسول ﷺ وإهانته في وقت انقلبت فيه الدنيا حين كان التعرض لأصنام الآخرين؟!

يقول الكاتب المارق: «هنا يشعر المرشدون الروحانيون المسلمون بأنهم مضطرون للهجوم على الخصم، ويتبعهم في ذلك أشتات الناس ممن يحملون ثقافة دنيا ويدفعهم ذلك للقتل المؤكد».

ويقول الكاتب الماجن: «إن الرسومات النقدية «الكاريكاتير» والكلمات الساخرة التي تتناول شتى الموضوعات وكافة الفئات، والأفكار هي عبارة عن نقد وسخرية هادفة وذكية أيضًا، وإن هذا أمر مقبول متعارف عليه في العالم بأسره باستثناء ما يخص الإسلام - حسب زعمه - وعلى هذا يتعجب الكاتب مما وصفها بالحرمة التي ينالها الإسلام في هذا الشأن، ويغزو هذه الحرمة والقدسية إلى وجود مجموعة من طبقة القساوسة «حسب تعبيره» من الإسلاميين و«شلة من المشايخ والملالي» الذين يعطون لأنفسهم حق النقد والتفسير الحصري لكلام النبي ﷺ.

وصال وجال الكاتب البذيء وأخذ يعطي الدروس للمسلمين بالقول: «إنه يأمل لو أن الغالبية العظمى من المسلمين والتي تعتقد - والكلام له - أنها راغبة بالعيش بسلام وأمن مع نفسها وجيرانها اتخذت موقفًا رافضًا الإبقاء على هذا التاريخ المظلم.

وبدل من تهدئة الأوضاع على الساحة الدانماركية التي راحت تتصاعد فيها مشاعر الغضب بين مائتي ألف مسلم يعيشون هناك كان البعض من الصحفيين الدنماركيين المتعصبين يصبون الزيت على النار لإشعال الأزمة أكثر وأكثر، حيث كتب أحد المحررين في إحدى الصحف الدنماركية مشيرًا إلى ما نشرته صحيفة «يولاندس بوستن» في الثلاثين من سبتمبر بوضعها اثني عشر رسمًا حول ما يعتقدون بشكل ساخر أنه تصوير للنبي محمد ﷺ».

وأن ما حدث على هذا النحو المخزي في بلاد تدعي الديمقراطية، واحترام المقدسات إنما يدفع للتساؤل حول من الذي يصنع الإرهاب؟ ومن الذي يغذيه؟ ومن الذي يستعدي الآخرين؟ فالمسلمون يتعرضون لامتحان عسير بعد الهجوم الوقح والتطاول غير المبرر على رسول الله ﷺ.

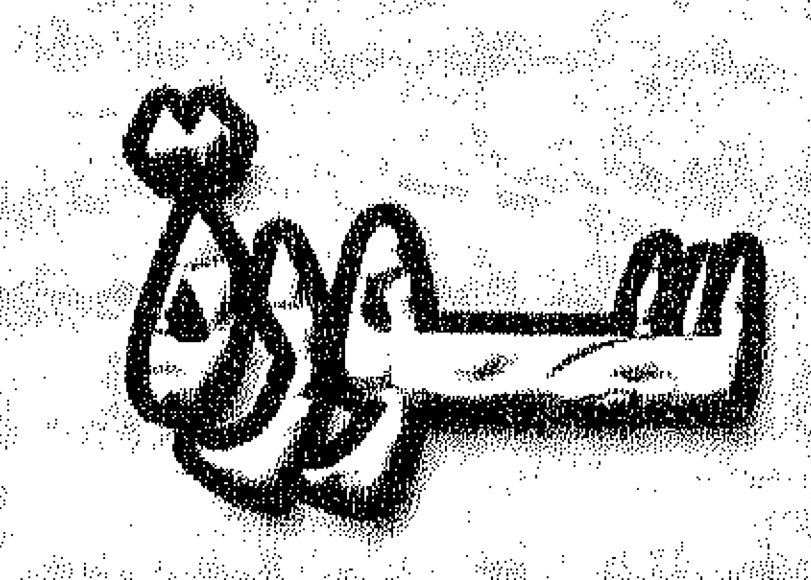
وإننا ومن خلال صفحات مجلة التوحيد نناشد قادة الدول الإسلامية أجمعين باتخاذ مواقف رادعة تجاه تلك الوقاحات التي خرجت على يد أقلام تجاوزت كل الحدود وخاضت في أقدس مقدسات المسلمين بتهكمها وإهانتها لرسول الله ﷺ.

وإننا إزاء هذه المواقف المشينة نتساءل أين دعاة حقوق الإنسان، وحكام الأمة مما يجري ضد الإسلام والمسلمين ممثلا في الإهانات الموجهة لرسول الإنسانية ﷺ؟!

ولماذا الصمت على إهانة الرسول ﷺ، ولماذا انقلبت الدنيا حين تم المساس بمقدسات بل بأصنام الآخرين؟!! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فاللهم فرج كرب المسلمين حتى يفيقوا من ثباتهم ويدافعوا عن دينهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين







سورة المزمل

إعداد
د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل].

سورة مكية، من أول ما نزل على النبي ﷺ، ذَكَرَ اللهُ تعالى فيها لنبيه ﷺ وللدعاةِ بعده وسائل الإعداد الجسدي والروحي للدعاة إلى الله، فالدعوةُ إلى الله صعبةٌ وشاقة، ولابد لكل من أراد القيام بها أن يهيئ نفسه لها، جسديًا وروحيًا قبل أن يخوض غمارها.

والوسائل التي ذكرتها السورة الكريمة هي:

١- قيام الليل.

٢- ترتيل القرآن.

٣- الذكر الخاشع المتبتل.

٤- الاتكال على الله وحده.

٥- الصبر على الأذى والتكذيب.

استفتح الله سبحانه السورة بهذا النداء اللطيف الذي يفيض محبة ومودة من الله لرسوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، يا أيها الملفوفُ بثيابه، المتغطي بها «قم» فليس الوقت وقت نوم، وليس الوقت وقت راحة، وليس الوقت وقت كسلٍ وخلودٍ إلى الفراش، «قم» فإن أمامك طريقًا شاقًا ستركبه ابتغاء وجه الله، فقم وهيء نفسك له بما نأمرك به: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، وهكذا يأمر الله

نبيه بقيام الليل، ويحدد له الوقت، ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ كله «إلا قليلا» فإن لم تفعل فـ «نصفه» أو «انقص منه» أي من النصف «قليلا» فيكون المراد الثلث، «أو زد عليه» على النصف قليلا، فيكون المراد الثلثين، فلا حرج عليك بأن تنقص من النصف قليلا، أو تزيد عليه قليلا، ولقد استجاب ﷺ لأمر ربه، فقام الليل كما أمره، وحافظ عليه حتى بعد نسخ هذا الأمر، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا». [رواه البخاري]

فعلى الدعاة أن يحافظوا على قيام الليل فإنه عُنوانُ التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥- ١٩]، وهو عُنوان الإيمان بآيات الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥- ١٧]، وقد فرق الله سبحانه بين من يقوم الليل ومن لا يقومه، ونفى التسوية بينهما، فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وكان النبي ﷺ يرغب في قيام الليل ويحث عليه، فكان يقول: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قُربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم». [رواه الترمذي]

وقال ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئتَ فإنك مفارقه، واعمل ما شئتَ فإنك مجزيٌّ به، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس».

[رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في الصحيحة]

وقال عن عبد الله بن عمر بن الخطاب: «نِعْمَ الرجل عبد الله، لو كان يقوم من الليل». [متفق عليه].

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل».

[متفق عليه]

وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ أي اقرأه على تمهّل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره، وهكذا كان يقرأ ﷺ، حتى إنه كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها، كما قالت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها. [رواه مسلم]

وعن أنس أنه سُئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدًّا، ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» يمدّ بسم اللهُ، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم.

[رواه البخاري]

وقال ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارْقَ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». [رواه الترمذي وابو داود]

فعلى الدعاة أن يحرصوا على تلاوة القرآن وترتيله، في القيام وغيره، فإنّ قراءة القرآن قربة من أعظم القرب، وعبادةٌ من أجل العبادات، يُعْطِي الله عليها ما لا يعطي على غيرها، من الأجر والثواب، وقد بيّن النبي ﷺ عظم هذا الأجر بقوله: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألفُ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرف». [رواه الترمذي]

والداعية الأحفظ للقرآن، والأحسن ترتيلاً له، هو الأملك لقلوب السامعين، والأكثر تأثيرًا فيهم، فعلى الدعاة أن يكون القرآن في صدر أحدهم كالمصحف في يديه، فإنّ القرآن هو سلاح الداعية، وزاده الذي لا ينفد.

ثم كشف الله تعالى لنبيه ﷺ عما بعد هذا الجهاد من الحكمة فقال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً

ثقيلاً ﴾ يحتاج إلى استعداد طويل، وهو هذا القرآن: إنه ثقيلٌ في تكاليفه، ثقيل في أوامره، ثقيل في نواهيه، وكان ثقيلاً عليه ﷺ ساعة نزوله، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصمُ عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا». [متفق عليه]

وقال زيد بن ثابت:: «أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترَضَّ فخذي». [البخاري]

فإن قيل: فهلا اكتفى في استعداده لهذا الأمر بالصلاة وقراءة القرآن في النهار بدلاً من الليل؟ فالجواب: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾، فرق كبيرٌ جدًا بين العبادة في الليل والعبادة في النهار، فالعبادة في الليل أقرب ما تكونُ إلى الخشوع، حيث يقوم لها الإنسان بعد نوم، فيكون قد استراح من تعب النهار وكدحه فيه، وأيضًا سكون الليل يُعين على الخشوع، فيستطيع أن يجمع قلبه، ويقبل بكليته على الله تعالى، وهذا شيءٌ ملموسٌ ومحسوسٌ، لا يحتاج إلى برهان، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴾ أي: ترددًا في حوائجك ومعاشك، يوجب اشتغال قلبك، وعدم تفرغه التفرغ التام، فلينقض النهار في هذا السبح والنشاط، ولتنصب لعبادة ربك في الليل، وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ أي أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك. وذِكْرُ اسم الله، ليس هو مجرد ترديد هذا الاسم الكريم باللسان، على عدة المسبحة المئوية أو الألفية، إنما هو ذكر القلب الحاضر مع اللسان الذاكر، أو هو الصلاة ذاتها وقراءة القرآن فيها، والتبتل هو الانقطاع الكليّ عما عدا الله والاتجاه الكلي إليه بالعبادة والذكر، والخلوص من كل شاغل ومن كل خاطر، والحضور مع الله بكل الحس والمشاعر.

فعلى الداعية أن يذكر الله ذكرًا كثيرًا، وأن لا يغفل عن ذكر الله أبدًا، وعليه أن يكون لسانه رطبًا من ذكر الله، عليه أن يذكر الله في سره، وأن يذكره في علانيته، عليه أن يذكر الله في خلوته وفي اختلاطه، فإن القلوب إنما تطمئن بذكر الله، كما قال تعالى: ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

وعلى الداعية أن يتبتل إلى الله، وأن ينقطع إليه عما سواه، فإنه سبحانه رب المشرق والمغرب، لا إله إلا هو، وما دام كذلك ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ أي كما عبدته وحده، فتوكل عليه وحده، كما قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، وكما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، والداعية هو أحوج الناس إلى التوكل على الله، والاعتماد عليه دون سواه، فمن هنا يستمد القوة والزاد للعبء الثقيل في الطريق الطويل، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾.

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر الجميل على أذى قومه، وتكذيبهم له، وصدهم الناس عنه، فقال: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾، فلابد للداعية من الصبر: الصبر على الأذى، والصبر على التكذيب، والصبر على صد الناس عنه، والصبر على طول الطريق، والصبر على ثقل العبء، والصبر على تأخر النتائج، ولذا كثر الأمر للنبي ﷺ بالصبر، كما سبق مرارًا، ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾ وهو الهجر الذي لا عتاب معه، ولا غضب، ولا مشادة، وكان ذلك في مكة قبل الهجرة، وقبل أن يأذن الله لرسوله في قتال المشركين.

ثم قال تعالى مهددًا للكافرين ومتوعدًا لهم، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي خل بيني وبينهم، واتركهم لي، فأنا القادر على الانتقام منهم، ولقد كانوا أولى الناس بالإسلام، واتباع النبي عليه الصلاة والسلام، شكرًا لله على ما حباهم من نعمة، ولكن القوم ﴿ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم:٢٨]، ولذا قال تعالى: ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾، ولو مهلهم الحياة الدنيا

كلها ما كانت إلا قليلاً، فما الدنيا في حساب الله إلا يومٌ أو بعض يوم، وما هي في حسابهم هم أنفسهم حين تُطوى إلا كذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٤]، ثم ذكر ما لهم عنده من العذاب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾ أي قيودًا، «وجحيمًا»، ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤]، ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ (ينشب في الحلق في الحلق فلا يدخل ولا يخرج، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ يتحقق لهم ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾، أي تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تُنسف نسفًا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، ثم وجه الله الخطاب إلى الذين كذبوا نبيه محمدًا ﷺ، فذكرهم بمن كذب رسله من قبلهم، وكيف كان أخذه لهم، فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ فاحذروا معشر الناس أن تعصوا رسولكم كما عصى فرعون الرسول، فيأخذكم الله كما أخذ فرعون، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]، ثم قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾، وإنه ليوم عظيم هوله، حيث تشيب من هوله الولدان، وتنفطر السماء، وتنشق الارض، وتسير الجبال سَيرا، ومعناه أنكم إن كفرتم فلن يحصل لكم أمانٌ من هول هذا اليوم العظيم، وهو كائن لا محالة، لأنه وعد الله، والله لا يخلف الميعاد.

ثم يلمس قلوبهم لتتذكر وتختار طريق السلامة، طريق الله، فيقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ أي هذه السورة وما جاء فيها تذكرة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي طريقًا ومسلكًا، فإنه لا نجاة من هذه الأهوال التي ذكرتها السورة عن اليوم الآخر إلا بسلوك سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، هذه هي آية التخفيف، فلقد أمر النبي ﷺ أن يقوم الليل، فقام هو والذين آمنوا معه سنةً كاملةً حتى تفطرت أقدامهم، ثم خفف الله عنهم بهذه الآية، فجعل القيام مندوبًا بعد ما كان واجبًا، وأمرهم أن يقرءُوا ما تيسر من القرآن من غير تحديد، وعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها الركن الأعظم فيها.

ثم ذكر سبحانه أسباب التخفيف، فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فـ ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، فمنكم من يكون مريضًا لا يستطيع القيام، ومنكم من يكونُ مسافرًا في طلب رزق الله، ومنكم من يكون مشغولاً بقتال أعداء الله، فلذلك خفف عنكم، وفي هذه الآية أكبر دليل على نبوة محمد ﷺ، حيث لم يكن القتال شُرع بعد، وأخبرهم بأن سيكون منهم من يقاتلون في سبيل الله، وهذا إخبارٌ بالغيب، لا يمكن أن يكون إلا من عند علام الغيب سبحانه.

ومرةً ثانيةً يكرر عليهم التخفيف: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ بلا عسر ولا مشقة ولا إجهاد، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي الواجبة، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المفروضة، ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني من الصدقات، واعلموا انه ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾، واعلموا دائمًا أنكم دائمًا مقصرون في حق الله، مهما تحريتم الصواب والاجتهاد، فلا تمنوا بما تقدمون من خير ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهكذا يجب على الداعية دائمًا أن لا يرى عمله، وأن لا يعجب بجهده، وأن يتهم نفسه دائمًا بالتقصير، وليكثرن من الاستغفار رجاء أن يعفو الله عن تقصيره، وليحذر دائمًا من العُجب بنفسه، وليحذر الاغترار بجهده أو بكثرة أتباعه، وليعلم أن ما به من نعمةٍ فمن الله، فليجتهد في عبادة الله شكرًا لله.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

رضاع الكبير

إعداد

زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وبعد:

أخرج أبو داود في سننه عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ كَانَ تَبَنَّى سَالِمًا وَأَنْكَحَهُ ابْنَةَ أَخِيهِ هِنْدَ بِنْتَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهو مَوْلًى لامْرَأَةٍ من الأنصار، كما تَبَنَّى رسولُ اللهِ ﷺ زيدًا، وكان مَنْ تبَنَّى رَجُلاً في الجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ الناسُ إليه وَوَرِثَ ميراثَهُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في ذَلِكَ: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]، فَرُدُّوا إلى آبَائِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ أَبٌ كَانَ مَوْلًى وأخًا في الدِّينِ، فَجاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو القُرَشِيِّ ثُمَّ العَامِرِيِّ وَهي امْرَأَةُ أبي حُذَيْفَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا فَكَانَ يَأْوِي مَعِي وَمَعَ أبي حُذَيْفَةَ في بَيْتٍ وَاحِدٍ وَيَرَاني فُضُلاً، وقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِم مَا قَدْ عَلِمْتَ فَكَيْفَ تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَها النبيُّ ﷺ: «أَرْضِعِيهِ» فَأَرْضَعَتْهُ خَمْسَ رَضَعاتٍ، فَكَانَ بمنزلةِ وَلَدِهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَبِذَلِكَ كَانَتْ عائشَةُ تَأْمُرُ بَنَاتِ أَخَوَاتِها وبَنَاتِ إخوانِها أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ عَائِشَةُ أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُلَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا خَمْسَ رَضَعَاتٍ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهَا. وأَبَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أن يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ أَحدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَرْضَعَ في المَهْدِ. وقُلْنَ لِعَائِشَةَ: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي، لَعَلَّهَا كَانَتْ رُخْصَةً مِن النبيِّ ﷺ لِسالِمٍ دُونَ النَّاس.

وأخرج هذا الحديث من حديث عروة بن الزبير الإمام مالك في الموطأ في كتاب الرضاع، وعنه الإمام الشافعي في الأم، ولقد رُوي هذا الحديث مختصرًا بحذف بعض ألفاظه، وبسياق دون هذا السياق، فقد أخرجه الإمام البخاري في المغازي وفي النكاح، والإمام مسلم في الرضاع، والنسائي في كتاب النكاح، باب رضاع الكبير، وابن ماجه في النكاح باب رضاع الكبير وهؤلاء ثلاثتهم أخرجوه من حديث القاسم عن عائشة، وأخرج الخبر في إباء (أي رفض) سائر أزواج النبي ﷺ فعل ما فعلته عائشة رضي الله عنهن أجمعين، على أن ذلك كان رخصة لسالم وحده؛ مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ . وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٢٥٥، ٢٦٩، ٢٧٠)، والدارمي وعبد الرزاق عن عائشة رضي الله عنها.

شرح الحديث

قوله: «إن أبا حذيفة تبنى سالمًا» التبني معروف، وهو أن يلحق الرجل بنفسه ابنا ليس له، وقد كان في الجاهلية قبل الإسلام يُلحق الرجل بنفسه الابن ويعده من أبنائه حتى إنهما ليتوارثان، فأبطل الإسلام ذلك، وأمر أن يُردَّ كل رجل إلى أبيه، وأن يُدْعى به، والذي لا يُعْلَمُ له أب يصير من موالي الشخص ومن إخوانه في الدين.

قوله: «وأنكحه ابنة أخيه» هذا الفعل من أبي حذيفة دليل على تبنيه سالمًا وشدة عنايته به. على أن العربي كان يفرق

في المعاملة بين المولى وغيره، فأبو حذيفة عملا منه بالتبني زوَّجَ سالمًا ابنة أخيه ولم يأنف من ذلك لأنه عده ابنه على الحقيقة، ولو كان يعده مولى ما زوجه ابنة أخيه كما هي عادة العرب في جاهليتهم.

قوله: «فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة أبي حذيفة فقالت: يا رسول الله، إنا كنا نرى سالمًا ولدًا وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ويراني فُضُلاً، وقد أنزل الله تعالى فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟» فأما قولها: كنا نرى سالمًا ولدًا فلأنهم تبنوه، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد. وفي رواية: وليس لنا إلا بيت واحد، وقولها: ويراني فُضُلاً: أي متبذلة في ثياب مهنتها، أو في ثوب واحد لا إزار تحته.

قوله: «أرضعيه». وفي رواية: «أرضعيه حتى يدخل عليك». وفي رواية: «أرضعيه تحرمي عليه». وفي رواية أخرى لما قالت: يا رسول الله، إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم وهو حليفه، فقال النبي ﷺ: «أرضعيه». فقالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير، فتبسَّم رسول الله ﷺ، وقال: «قد علمت أنه كبير». وفي رواية أخرى: أن أم سلمة رضي الله عنها قالت لعائشة رضي الله عنها: إنه يدخل عليك الغُلامُ الأيْفَعُ الذي ما أحب أن يدخل عليَّ، فقالت عائشة رضي الله عنها: أما لك في رسول الله أسوة؟ إن امرأة أبي حذيفة قالت: يا رسول الله، إن سالمًا يدخل عليَّ وهو رجل، وفي نفس أبي حذيفة منه شيء، فقال رسول الله ﷺ: «أرضعيه حتى يدخل عليك». والغلام الأيفع في قول أم سلمة: أي الغلام الذي لم يبلغ الحلم.

مذاهب العلماء في رضاع الكبير

قال أبو عمر بن عبد البر: وهو مذهب عائشة من بين أزواج النبي ﷺ، أي أن القول بهذا الحديث وهو حديث سالم مولى ابي حذيفة، أخذت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال: حملت عائشة حديثها هذا في سالم على العموم، فكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر وبنات إخوانها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها.

قال: ورأى غيرها هذا الحديث خصوصًا في سالم- أي خاصًا به لا يقاس عليه غيره.

ثم قال رحمه الله تعالى: واختلف العلماء في ذلك كاختلاف أمهات المؤمنين:

فذهب إلى القول بأن رضاعة الكبير تحرم كل من: الليث بن سعد، وعطاء بن أبي رباح وابن علية، قال الشوكاني وحكاه النووي عن داود الظاهري، وإليه ذهب ابن حزم، وقال أيضًا: وهو مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما حكاه عنه ابن حزم، وأما ابن عبد البر فأنكر الرواية عنه وقال: لا يصح.

ونقل ابن عبد البر عن مصنف عبد الرزاق عن ابن جريج قال: سمعت عطاءً يُسأل: قال له رجل: سقتني امرأة من لبنها بعد ما كنت رجلاً، أفأنكحها؟ قال: لا، قلت: ذلك رأيك؟ قال: نعم.

قال أبو عمر عقب ذلك: هكذا يكون رضاع الكبير- كما ذكر عطاءً- يحلب له اللبن ويسقاه، وأما أن تلقمه ثديها كما يصنع بالطفل فلا؛ لأن ذلك لا ينبغي عند أهل العلم.

ثم قال: وقد أجمع أهل العلم على التحريم بما يشربه الغلام الرضيع من لبن المرأة وإن لم يمصه من ثديها، وإنما اختلفوا في السعوط به وفي الحُقنة والوَجُورِ وفي جُبْنٍ يصنع له منه: (الوَجُورُ: الدواء يصبُّ في الحلق).

وهؤلاء- القائلون بالتحريم برضاع الكبير- عمدتهم حديث عائشة رضي الله عنها الذي معنا.

ولقد ذكر عبد الرزاق في مصنفه عن ابن أبي مليكة بعد أن ساق حديث القاسم عن عائشة رضي الله عنها: فَمَكَثْتُ سنةً أو قريبًا منها لا أحدث به رهبة له، ثم لقيت القاسم، فقلت له: لقد حدثتني حديثًا ما حدثت به بعد، فقال: ما هو؟ فأخبرته، فقال: حدِّث به عني فإن عائشة أخبرتنيه.

قال ابن عبد البر: هذا يدل على أنه حديث ترك قديمًا، ولم يُعْمَلْ به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومه، بل تلقوه بالخصوص.

من لم ير رضاع الكبير من العلماء

ثم قال: وممن قال: إن رضاع الكبير ليس بشيء: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وأبو هريرة، وابن عباس، وسائر أمهات المؤمنين غير عائشة، وجمهور التابعين وجماعة فقهاء الأمصار منهم مالك وابن أبي ذئب وابن أبي ليلى وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد والطبري. اهـ.

واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، كما استدلوا بأحاديث وآثار، منها:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي رجلٌ فقال: من هذا؟ قلت: أخي من الرضاعة. قال: يا عائشة انْظُرْنَ مَنْ إخْوانُكُنَّ فإنَّما الرَّضَاعَةُ مِن المجَاعَةِ.

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه]

٢- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «لا يُحَرِّمُ من الرَّضَاع إلاَّ مَا فَتقَ الأمعَاءَ وكان في الثَّدْيِ، وكان قبل الفطَامِ».

[أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه]

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين».

[رواه الدارقطني]

٤- عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا رضاع بعد انفصال ولا يُتم بعد احتلام».

[رواه أبو داود الطيالسي في مسنده]

٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه: «لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم». أخرجه أبو داود.

٦- روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن رجلاً سأل أبا موسى الأشعري فقال: إني مصصت عن امرأتي من ثديها لبنًا، فذهب في بطني، فقال أبو موسى: لا أراها إلا قد حرمت عليك، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: انظر ماذا تفتي به الرجل؟ فقال أبو موسى: فماذا تقول أنت؟ فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لا رضاعة إلا ما كان في الحولين، فقال أبو موسى: يا أهل الكوفة لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين أظهركم.

٧- جاء رجل إلى عبد الله بن عمر يسأله عن رضاعة الكبير، فقال عبد الله بن عمر: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إني كانت لي وليدة وكنت أطؤها، فعمدت امرأتي إليها فأرضعتها، فدخلت عليها، فقالت: دونك، فقد والله أرضعتها، فقال عمر: أوجعها وَأْتِ جاريتك، فإنما الرضاعة رضاعة الصغير. [أخرجه مالك في الموطأ]

قال أبو عمر بن عبد البر: قد ذكرنا أنَّ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب كانا لا يريان رضاعة الكبير شيئًا، فيمن ذكرنا من الصحابة في هذا الباب، وقال أيضًا: وقد ذكرنا أن أبا موسى رجع إلى قول ابن مسعود في هذه المسألة من رضاع الكبير، ولولا أنه بانَ له أنَّ الحقَّ في قول ابن مسعود ما رجع إليه، ولا يزال الناس بخير ما انصرفوا إلى الحق إذا بان لهم.

[اهـ من الاستذكار بتصرف]

ولقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد مناظرة بين القائلين برضاع الكبير وبين القائلين بالحولين وأطال فيها ونحن نورد هنا ما تلخص من هذه المناظرة: قال المتعلقون بحديث عائشة بخصوص قصة سالم مولى أبي حذيفة:

هذا الحديث رواه من الصحابة أمهات المؤمنين، وسهلة بنت سهيل، وهي من المهاجرات، وزينب بنت أم سلمة وهي ربيبة النبي ﷺ، ورواه من التابعين القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وحميد بن نافع، ورواه عن هؤلاء الزهري وابن أبي مليكة وعبد الرحمن بن القاسم ويحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة، ثم رواه عن هؤلاء أيوب السختياني وسفيان الثوري وابن عيينة وشعبة ومالك وابن جريج وشعيب ويونس وجعفر بن ربيعة ومعمر وسليمان بن بلال وغيرهم، قال الشوكاني بعد أن نقل هذا الكلام: وهؤلاء هم أئمة الحديث المرجوع إليهم في أعصارهم، ثم رواه عنهم الجم الغفير والعدد الكثير، وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه السنة بلغت طرقها نصاب التواتر. [اهـ من نيل الأوتار]

ذكر ابن القيم بعد ذلك ردود القائلين بثبوت التحريم برضاع الكبير على أصحاب الحولين مفندين لأدلتهم، وفي آخرها قال: قالوا: وقد صح عنها أنها كانت تدخل عليها الكبير إذا أرضعته الرضاع المحرم أخت من أخواتها، ونحن نشهد بشهادة الله، ونقطع قطعًا نلقاه به يوم القيامة، أن أم المؤمنين لم تكن لتبيح ستر رسول الله ﷺ بحيث ينتهكه من لا يحل له انتهاكه، ولم يكن الله عز وجل ليبيح ذلك على يد الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات، وقد عصم الله تعالى هذا الجناب الكريم والحمى المنيع والشرف الرفيع أتم عصمة، وصانهُ أعظم صيانة، وتولى صيانته وحمايته والذَّبَّ عنه بنفسه ووحيه وكلامه. إلى آخر كلامهم.

ثم ذكر رحمه الله تعالى أن القائلين بالحولين اختلفوا في حديث سهلة هذا على ثلاثة مسالك:

أحدها: أنه منسوخ، وهذا مسلك كثير منهم، قال: ولم يأتوا على النسخ بحجة سوى الدعوى، فإنهم لا يمكنهم إثبات التاريخ المعلوم التأخر بينه وبين تلك الأحاديث، ولو قلب أصحاب هذا القول عليهم الدعوى، وادعوا

نسخ تلك الأحاديث بحديث سهلة لكانت نظير دعواهم.

المسلك الثاني: أنه مخصوص بسالم دون من عداه، وهذا مسلك أم سلمة رضي الله عنها ومن معها من نساء النبي ﷺ ومن تبعهن، قال: وهذا المسلك أقوى مما قبله- أي أن مسلك التخصيص أقوى من مسلك النسخ- ثم ذكر أقوال أصحاب هذا القول إلى أن قال:

قالوا: ويتعين هذا المسلك لأنا لو لم نسلكه لَزِمَنَا أحد مسلكين، ولابد منهما، إما نسخ هذا الحديث بالأحاديث الدالة على اعتبار الصغر في التحريم، وإما نسخها به، ولا سبيل إلى واحد من الأمرين لعدم العلم بالتاريخ، ولعدم تحقق المعارضة ولإمكان العمل بالأحاديث كلها.

ثم قال رحمه الله تعالى فيما أورده من ردود أصحاب الحولين: وأما حديث الستر المصون والحرمة العظيمة والحمى المنيع، فرضي الله عن أم المؤمنين، فإنها وإن رأت أن هذا الرضاع يثبت المحرمية، فسائر أزواج النبي ﷺ يخالفنها في ذلك، ولا يرين دخول هذا الستر المصون والحمى المنيع بهذه الرضاعة، فهي مسألة اجتهاد، وأحد الحزبين مأجور أجرًا واحدًا، والآخر مأجور أجرين، وأسعدهما بالأجرين من أصاب حكم الله عز وجل ورسوله ﷺ في هذه الواقعة.

فكلٌ من المُدْخِل للستر المصون بهذه الرضاعة، والمانع من الدخول فائز بالأجر، مجتهد في مرضاة الله وطاعة رسوله وتنفيذ حكمه، ولهما أسوة بالنبيين الكريمين- داود وسليمان- اللذين أثنى الله عليهما بالحكمة والعلم، وخص بفهم الحكومة أحدهما.

المسلك الثالث: أن حديث سهلة ليس بمنسوخ، ولا مخصوص، ولا عام في حق كل أحد، وإنما هو رخصة للحاجة لمن لا يستغني عن دخوله على المرأة، ويشق احتجابها عنه، كحال سالم مع امرأة أبي حذيفة، فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثر رضاعه، وأما من عداه فلا يؤثر إلا رضاع الصغير، وهذا مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، والأحاديث النافية للرضاع في الكبير إما مطلقة فتقيد بحديث سهلة، أو عامة في الأحوال فتخصص هذه الحال من عمومها، وهذا أولى من النسخ ودعوى التخصيص بشخص بعينه، وأقرب إلى العمل بجميع الأحاديث من الجانبين وقواعد الشرع تشهد له، والله الموفق. [اهـ. من زاد المعاد (ج٥)]

ويظهر فائدة الأخذ بقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مثل الحالات التي تقوم فيها أسرة بتربية طفل يتيم أو نحوه ثم يعسر عليهم بعد ذلك الاحتجاب عنه وقد تربى معهم كواحد من أولاد الأسرة، فحينئذ يرتضع هذا الغلام ويصبح محرمًا يدخل بلا حرج عليه ولا على للأسرة، والله المستعان.

وبعد، فهذه أحكام شريعتنا بيضاء ناصعة، ليلها كنهارها، كما تَرَكَنَا عليها رسولُ اللّه ﷺ، نرى فيها الطهر والعفاف، وتحري الحق والبحث عن الصواب بكل طريق، وقد علمت أخي المسلم قول بعض علمائنا كابن عبد البر: وهكذا يكون رضاع الكبير بأن تحلب المرأة لبنها في كوب ويشربه، لا أن تلقمه ثديها كما يفعل بالصغير، ولقد قال أيضًا في شرح كلمة «فُضُل» وقال ابن وهب: فُضُلٌ: مكشوفة الرأس والصدر. وقيل: الفُضُل التي عليها ثوب واحد ولا إزار تحته، قال: وهذا أصح إن شاء الله تعالى، لأن انكشاف الصدر لا يجوز أن يضاف إلى ذوي الدين عند ذي محرم ولا غيره، لأن الحرة عورة (مجتمع على ذلك منها) إلا وجهها وكفيها.

فالعجب ممن ينطلي عليه تشكيك أعداء الإسلام وما يلقونه من شبهات حول ديننا الحنيف دين العفة والطهر والنقاء، أولئك الذين لا يعرفون فضيلةً ولا حياءً ولا سترًا بل يعيشون متكشفين مختلطًا رجالهم بنسائهم كالأنعام أو كالحيوانات الضالة، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، ثم يتهجمون على ديننا وهم لا يعقلون، والعيب ليس فيهم، لكن العيب فيمن ينساق وراءهم من جهلة المسلمين الذين لا يميزون بين حق وباطل ولا بين هدى وضلال، أو ينطلي عليهم أقوال الروافض الذين اتخذوا من سب الصحابة دينًا ولا سيما خيارهم كالصديق والفاروق وابنتيهما كأمثال هؤلاء المستهزئين السافرين الذين يقولون: إذن؛ من كان عنده سائق أو خادم فلترضعه امرأته ويدخل عليها!! ونحن بدورنا نسأل هؤلاء: وهل عندكم ستر أو حجاب بين نسائكم وبين خدمكم أو سائقيكم؟! ولكن البهتان والإفك والزور له أهله الذين لا يعرفون حياءً ثم يتهكمون بأهل الحياء والفضيلة والستر.

والحمد لله رب العالمين



سد الذرائع في مسائل العقيدة

الحلقة السابعة

إعداد/ د. عبد الله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

سد الذرائع في توحيد المعرفة والإثبات

توحيد المعرفة والإثبات أحد نوعي التوحيد، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الجلال والكمال لله عز وجل، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فلا رب سوى خالق الأرض والسماء، كما أنه لا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته وأفعاله، تعالى سبحانه وتقدس عن الشبيه والنظير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا لما كان وجوب الوجود من خصائص رب العالمين، والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين، كان الاستقلال بالفعل من خصائص رب العالمين، وكان التنزه عن شريك في الفعل والمفعول من خصائص رب العالمين، ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقًا، ولا ربًا مطلقًا ونحو ذلك، لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع، وليس ذلك إلا لله وحده».

وقد سدَّ الشارع الذرائع التي يمكن أن تؤدي إلى وقوع محظور في هذا النوع من التوحيد، وبيان ذلك في مبحثين كما يلي:

المبحث الأول: سد الذرائع في مضاهاة أفعال الله تعالى

أفعال الله كثيرة، وهي مبنية على أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه، وهو الذي يحييه ويميته ويدبر أمره، وهو أمر تشهد له الفطرة، ويذعن له العقل، وقد ذكر ربنا ذلك في آيات كثيرة من كتابه، كما نفى أن يكون لأحد معه شريك في الخلق والتكوين فقال سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ويظهر حماية الشرع لهذا النوع من التوحيد بذكر الأمثلة الآتية:

١- النهي عن تصوير ذوات الأرواح:

نهى الإسلام عن تصوير ذوات الأرواح سدًا لذريعة المضاهاة لأفعال الله تعالى، وهي هنا الخلق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة».

قال الإمام النووي بعد ذكره لبعض الأحاديث الناهية عن التصوير: «وهذه الأحاديث صريحة في تحريم تصوير الحيوان وأنه غليظ التحريم، وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه، فلا تحرم صنعته ولا التكسب به سواء الشجر المثمر وغيره، وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهدًا، واحتج مجاهد بقوله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي»، واحتج الجمهور بقوله ﷺ: «ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم» أي: اجعلوه حيوانًا ذا روح كما ضاهيتم.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بعد ذكره للحديث السابق: «وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهي المضاهاة بخلق الله، لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة».

وقال الشيخ صديق حسن خان: «قال بعض أهل العلم في معنى هذا الحديث: يعني أن المصورين يدعون الإلهية في هذه السترة، لكونهم يريدون أن يصنعوا أشياء مثل ما صنعه الخالق القدير، فهم مسيئو الأدب مع الله عز وجل، ودعواهم هذه كذب صريح وحجة داحضة».

٢- النهي عن قول: «مطرنا بنوء كذا»:

عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس

فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب». [البخاري ومسلم]

قال الإمام الشافعي: «من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا، فذلك كفر، كما قال رسول الله ﷺ؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا، ولا يمطر ولا يصنع شيئًا، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا، على معنى: مطرنا بوقت كذا، فإنما ذلك كقوله: مطرنا في شهر كذا، ولا يكون هذا كفر، وغيره من الكلام أحب إلى منه».

قال الحافظ ابن حجر عقب نقله لكلام الإمام الشافعي السابق: «يعني حسما للمادة وعلى ذلك يحمل إطلاق الحديث».

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله معلقًا على كلام الإمام الشافعي: «إن كلام الشافعي لا يدل على جواز ذلك، وإنما يدل على أنه لا يكون كفر شرك، وغيره من الكلام أحسن منه، أما كونه يجوز إطلاق ذلك أو لا يجوز، فالصحيح أنه لا يجوز، وإن كان القائل لذلك يعتقد أن الله هو المنزل للمطر، فهذا من باب الشرك الخفي في الألفاظ، كقوله: لولا فلان لم يكن كذا».

وقال الإمام النووي: «وأما معنى الحديث، فاختلف العلماء في كفر من قال: مطرنا بنوء كذا على قولين: أحدهما: هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالبٌ لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقدًا أن الكواكب فاعل مدبر منشئ للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقده فلا شك في كفره، وهذا القول الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم، وهو ظاهر الحديث، قال: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقدًا أنه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارًا بالعبادة، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر، والأظهر كراهيته، لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها».

قلت: الأولى النهي مطلقًا عن قول هذه الكلمة سدًا للذريعة، وقد بين ذلك ووضحه الشيخ سليمان قال: «الاستسقاء بالنجوم نوعان: أحدهما يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذ لا خالق إلا الله، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وليس هذا معنى الحديث، فالنبي ﷺ أخبر أن هذا لا يزال في أمته، ومن اعتقد أن النجم ينزل المطر فهو كافر.

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك المنزل له، لكن معنى أن الله تعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، فحكى ابن مفلح خلافًا في مذهب أحمد في تحريمه وكراهته، وصرح أصحاب الشافعي بجوازه والصحيح أنه محرم، لأنه من الشرك الخفي، وهو الذي أراده النبي ﷺ وأخبر أنه من أمر الجاهلية، ونفاه وأبطله، وهو الذي كان يزعم المشركون، ولم يزل موجودًا في هذه الأمة إلى اليوم، وأيضًا فإن هذا من النبي ﷺ حماية لجناب التوحيد، وسد الذريعة الشرك ولو بالعبارات الموهمة التي لا يقصد صاحبها.

المبحث الثاني: سد الذرائع في توحيد الأسماء والصفات

من المعلوم المقرر عند أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى له وحده الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا يشاركه فيها غيره، وهم يثبتون كل ما جاء في كتاب الله، وما صح به الخبر من سنة رسول الله ﷺ من غير تشبيه وتمثيل، أو تعطيل وتأويل.

ولأهمية السلامة في جانب الاعتقاد- ومنه الأسماء الحسنى- ولأن أسماء الله وصفاته تحمل معنى العظمة والجلال التي لا يشارك فيها الخالق المخلوق، فقد احتاط الشارع لهذا الجانب، وسد كل طريق يؤدي إلى الخلط فيه، وهذه بعض الأمثلة:

١- إثبات علم الغيب لله وحده ونفيه عن الأنبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم:

من الصفات الثابتة الدالة على كمال العلم وسعة القدرة والعظمة انفراد الله عز وجل بعلم الغيب، فلا يشاركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥].

ولما كان الأنبياء والمرسلون يخبرون عن الله

أمره، ويعلمون الناس شرعه بإعلام الله لهم، ومن ذلك أمور تتصل بعالم الغيب كما قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٨]، فقد نفى الله عنهم علم الغيب ونص على بشريتهم وبين منزلتهم، وقرر ذلك في كتابه في أكثر من موطن سدًا لذريعة نسبة علم الغيب إليهم، ويظهر ذلك واضحًا في سياق الآية السابقة، ويظهر أيضًا في قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قال ابن كثير: «أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل، ولا اطلاع به على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ الآية، وقوله: «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير» قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد: لو كنت أعلم متى أموت لعملت صالحًا، وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقال مثله ابن جريج، وفيه نظر، لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديمة، وفي رواية كان إذا عمل عملاً أثبته، فجميع عمله كان على منوال واحد، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك، والله أعلم، والأحسن في هذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس: «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير» أي من المال، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «وما مسني السوء»، قال: لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون وأتقيه، ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير أي نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنان، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [تفسير ابن كثير: ج٢/٥٢٦، ٥٢٧].

وللشيخ محمد رشيد رضا كلام جميل في هذه الآية بين فيه أن الناس قد افتتنوا بمن اصطفاهم الله من الأنبياء والمرسلين وغلوا فيهم، فكان هذا السياق الكريم بهذه الصورة ردًا عليهم، كما بينت حقيقة أمر النبي ﷺ، وأنه بشر لا يرفع إلى مرتبة الألوهية كما تجب طاعته، لأنه رسول رب العالمين، وفي ذلك يقول: «أي قل أيها الرسول للناس فيما تبلغه من أمر دينهم إنني لا أملك لنفسي- أي ولا لغيري بالأولى- جلب نفع ما في وقت ما، ولا دفع ضرر ما في وقت ما، كما أنه لا يملك شيئًا من علم الغيب الذي هو شأن الخالق دون المخلوق كما يأتي بيانه في تفسير الجملة التالية، والاستثناء على هذا منفصل عما قبله مؤكد لعمومه، أي لكن ما شاء الله تعالى من ذلك كان، فهو كقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، وهذا الوجه المختار عندنا، لأن الناس قد فتنوا منذ قوم نوح بمن اصطفاهم الله ووفقهم لطاعته وولايته من الأنبياء ومن دون الأنبياء والصالحين، ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾، والجملة استدلال على نفي علم النبي ﷺ الغيب كأنه يقول: لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا ولا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب- وأقربه ما يقع في مستقبل أيامي في الدنيا- لاستكثرت من الخير كالمال وأعمال البر، وفيه وجه آخر: أنه مستانف غير معطوف على ما قبله، ومعناه: وما مسني الجنون كما زعم الجاهلون، فيكون حاصل معنى الآية: نفي رفعه إلى رتبة الألوهية الذي افتتن بمثله الغلاة، أو نفي وضعه في أدنى مرتبة البشرية الذي زعمته الغواة العتاة وبيان حقيقة أمره». [تفسير المنار ج٩/٥٠٨- ٥١٢].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الآية: «هذا ارتقاء في التبرؤ من معرفة الغيب ومن التصرف في العالم، وزيادة من التعليم للأمة بشيء من حقيقة الرسالة والنبوة، وتمييز ما هو من خصائصها عما ليس منها، والجملة مستأنفة ابتدائية قصد من استيفائها الاهتمام بمضمونها، كي تتوجه الأسماع إليها، ولذلك أعيد الأمر بالقول مع تقدمه مرتين في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾، ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾، للاهتمام باستقلال المقول، وأن لا يندرج في جملة المقول المحكي قبله، وخص هذا المقول بالإخبار عن حال الرسول ﷺ نحو معرفة الغيب ليقلع عن عقول المشركين توهم ملازمة معرفة الغيب لصفة النبوة، إعلانًا للمشركين بالتزام أنه لا يعلم الغيب، وأن ذلك ليس بطاعن في نبوته حتى يستيأسوا من تحديه بذلك».

٢- إثبات صفة العلم ومعية الله لخلقه مع استوائه على عرشه.

ذكر ربنا سبحانه وتعالى في كتابه استواءه على عرشه في أكثر من موضع، وهو استواء يليق بجلال الله وكماله، ومعناه عند السلف علو الله على خلقه، وذكر البخاري عن أبي العالية: استوى إلى السماء: ارتفع، وقال مجاهد: استوى علا على العرش.

ودفعا لما يمكن فهمه من علو الله على خلقه أن الله بعيد عن عباده، فلا يعلم ما هم عليه نصَّ سبحانه في كثير من آيات الاستواء على علمه بخلقه، وبتدبير أمر مملكته، وإحاطته بما هم عليه، كما ذكر معيته لهم مع استوائه على عرشه، حتى لا يفهم أحد أن الله حال في مخلوقاته.

وأكتفي هنا بذكر آخر آية في القرآن الكريم أثبتت علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، مع إثبات صفتي العلم والمعية معًا، ثم أتبعها بأقوال بعض أهل العلم في معناها.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

قال الطبري في معنى الآية: «يقول تعالى ذكره مخبرًا عن صفته، وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه، يعلم ما يلج في الأرض من خلقه، يعني بقوله: يلج: يدخل، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء إلى الأرض من شيء قط، وما يعرج فيها فيصعد إليها من الأرض، وهو معكم أينما كنتم، يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس، أينما كنتم يعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع، والله بما تعملون بصير».

وقال ابن تيمية عن فهم السلف وتفسيرهم لمعنى المعية والقرب: «وأما القسم الرابع: فهم سلف الأمة وأئمتها، أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم، أثبتوا أن الله تعالى فوق سماواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو أيضًا مع العباد عمومًا بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضًا قريب مجيب، ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم، وكان النبي ﷺ يقول: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل». فهو سبحانه مع المسافر في سفره ومع أهله في وطنه، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم».

ومعية الله لخلقه تنقسم إلى قسمين: معية خاصة، وهي الواردة في مثل قول الله تعالى: ﴿لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وفي قوله: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وهذه المعية تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة، وهي للمؤمنين، ومعية عامة تتعلق بالناس جميعًا، وهي الواردة في مثل قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، وهذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم.

وقد ذكر القاسمي عن ابن قدامة أنه قال: «إن ابن عباس والضحاك ومالكًا وسفيان وكثيرًا من العلماء قالوا في قوله: «وهو معكم» أي علمه، وقد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله ﷺ وإجماع السلف أن الله تعالى في السماء على عرشه، وجاءت هذه اللفظة محفوفة بها دلالة على إرادة العلم منها، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، ثم قال في آخرها: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فبدأها بالعلم وختمها به، ثم سياقها لتخويفهم بعلم الله تعالى بحالهم، وأنه ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم عليه، وهذه قرائن كلها دلالة على إرادة العلم».

وقال عبد الرحمن السعدي: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، وهذه المعية، معية العلم والاطلاع، ولهذا توعد ووعد بالمجازاة بالأعمال بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال».

وقال الشيخ محمد بن عثيمين بعد كلام له عن آية سورة الحديد: «فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم، واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض، وإلا لكان آخر الآية مناقضًا لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه». والحمد لله رب العالمين



٦٩١- صَلَّى النَّبي ﷺ ، يَوْمَ النَّحْر ثُمَّ خَطَبَ ثُمَّ ذَبَحَ فقال: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أن يُصَلِّيَ فَلْيَذبَحْ أُخْرَى مَكَانَهَا، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ باسْمِ اللَّهِ».

[متفق عليه من حديث جندب]

٦٩٢- «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاةِ فإنَّمَا يَذبَحُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاةِ فَقَدْ تم نُسُكُهُ وأصَابَ سُنَّةَ المُسْلِمِينَ».

[متفق عليه من حديث البراء بن عازب]

٦٩٣- عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ أنَّ النَّبي ﷺ أعْطَاهُ غَنَمًا يَقْسِمُهَا عَلَى صَحَابَتِهِ فَبَقِيَ عَتُودٌ(١)، فَذَكَرَهُ للنَّبِيِّ ﷺ ، فقال: «ضَحِّ أَنْتَ بِهِ».

[متفق عليه من حديث عقبة]

٦٩٤- «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أمْلَحَيْنِ أقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِما». [متفق عليه من حديث انس]

٦٩٥- «كُنَّا لاَ نَأْكُلُ مِنْ لحُومِ بُدْنِنَا فَوْقَ ثَلاَثِ مِنًى، فَرَخَّصَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «كُلُوا وتَزَوَّدُوا» فَأَكَلْنَا وَتَزَوَّدْنا». [متفق عليه من حديث جابر]

٦٩٦- قال النبيُّ ﷺ : «مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وفي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيءٌ». فَلَمَّا كَانَ العَامُ المُقبلُ، قالُوا: يَا رسولَ اللَّهِ نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا العَامَ المَاضِي؟ قال: «كُلُوا وَأطعِمُوا وَادَّخِرُوا، فَإنَّ ذَلِكَ العَامَ كَانَ بالنَّاسِ جَهْدٌ فَأَرَدْتُ أنْ تُعِينُوا فيهَا». [متفق عليه من حديث سلمة بن الاكوع]

٦٩٧- «إذَا انْتَعَلَ أَحَدُكم فَلْيَبْدَأْ باليمينِ، وإذَا نَزَعَ فَلْيَبْدأ بالشِّمَالِ، لِتَكُنِ اليُمْنَى أوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وآخِرَهُمَا تُنْزَعُ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٦٩٨- «إيَّاكُمْ والجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ». فقالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فيهَا. قال: «فإذَا أبيتُم إلاَّ المَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا». قالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وكفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وأمْرٌ بالمعرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ».

[متفق عليه من حديث ابي سعيد الخدري]

٦٩٩- إنَّ امْرَأَةً مِنَ الأنصارِ زَوَّجَتْ بِنْتَهَا، فَتَمَعَّطَ(٢) شَعْرُ رأسِهَا فَجَاءَتْ إلى النَّبيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَت: إنَّ زَوْجَهَا أمَرَنِي أنْ أصِلَ في شَعْرِهَا فقال: «لاَ، إنَّه قَدْ لُعِنَ المُوصِلاَتُ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٧٠٠- عَنْ أبي مُوسى قال: وُلِدَ لي غُلامٌ، فأتَيْتُ به النَّبيَّ ﷺ ، فَسَمَّاهُ إبراهيمَ، فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ وَدَعَا لهُ بالبركَةِ وَدَفَعَهُ إليَّ، وكَانَ أكبرُ وَلَدِ أبي مُوسَى. [متفق عليه من حديث ابي موسى]

٧٠١- عَنْ يُسَيْرِ بنِ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ لِسَهْلِ بن حُنَيْفٍ: هَلْ سَمِعْتَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ في الخَوَارجِ شَيْئًا؟ قال: سَمِعْتُهُ يقولُ، وأهْوَى بِيَدِهِ قِبَلَ العِرَاقِ: «يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإسْلاَمِ، مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ». [متفق عليه من حديث سهل]

٧٠٢- «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ، فَقَالَ: لَوْلاَ أنْ تَكُونَ صَدَقَةً لأَكَلْتُهَا». [متفق عليه من حديث انس]

٧٠٣- عَنْ أبي هُرِيرةَ قال: «سَمَّي النبيُّ ﷺ الحَرْبَ خُدْعَةً».

[متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٧٠٤- إنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ فقَالَ: «هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ، وَهُوَ لَنَا هَدِيَّةٌ». [متفق عليه من حديث انس]

٧٠٥- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أهَدِيَّةٌ أمْ صَدَقَةٌ» فإنْ قِيلَ صَدَقَةٌ، قَالَ لأصْحَابِهِ: كُلُوا، وَلَمْ يَأْكُلْ، وإنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ، ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ. [متفق عليه من حديث ابي هريرة]



٧٠٦- عَنْ عَائِشَةَ قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يُسْتَأْمَرُ النِّسَاءُ فِي أَبْضَاعِهِنَّ(٣)؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: فَإِنَّ الْبِكْرَ تُسْتَأْمَرُ فَتَسْتَحْيِي فَتَسْكُتُ، قَالَ: «سُكَاتُهَا إِذْنُهَا». [متفق عليه من حديث عائشة]

٧٠٧- «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ(٤)، قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ». [متفق عليه من حديث أنس]

٧٠٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «مِنَ السُّنَّةِ إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْبِكْرَ عَلَى الثَّيِّبِ، أَقَامَ عِنْدَهَا سَبْعًا، وَقَسَمَ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيِّبَ عَلَى الْبِكْرِ، أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلاثًا، ثُمَّ قَسَمَ». [متفق عليه من حديث أنس]

٧٠٩- «إِنَّ رَجُلاً أَتَى النبيَّ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ(٥)؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَ لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ. قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧١٠- «مَطْلُ(٦) الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ»(٧). [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧١١- عَنْ سَعِيدِ بنِ أبِي بُرْدَةَ عَنْ أبِيهِ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَدَّهُ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا»(٨). [متفق عليه من حديث أبي موسى ومعاذ]

٧١٢- «إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ».

٧١٣- عَنْ ابنِ عمرَ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحزابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ». فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُم: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، فَقَالَ بَعْضُهُم: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُم». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧١٤- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟» فَانْطَلَقَ ابنُ مَسْعُودٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ، حَتَّى بَرَدَ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَقَالَ: أَنتَ أَبُو جَهْلٍ؟ قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ(٩) رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ، أَوْ قَالَ: قَتَلْتُمُوهُ». [متفق عليه من حديث أنس]

٧١٥- «لاَ يَزَالُ هَذَا الأمرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ اثْنَانِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧١٦- «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ». [متفق عليه من حديث أنس]

٧١٧- «قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، قَالُوا ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ(١٠) مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ». [متفق عليه من حديث أبي سعيد]

٧١٨- «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧١٩- «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي». [متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص]

٧٢٠- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ». [متفق عليه من حديث عائشة]

«١» عتود: الصغير من الماعز وقوي وأتى عليه الحول. «٢» فتمعط: أي تناثر وانتتف من أصله.

«٣» ابضاعهن: جمع بضع والمقصود النكاح. «٤» صفرة: شيء من طيب العروس.

«٥» أورق: ما في لونه بياض إلى سواد. «٦» المطل: تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر.

«٧» إذا أحيل بالدين الذي له على موسر فليحتل. «٨» تطاوعا: كونا متفقين في الحكم ولا تختلفا.

«٩» فوق رجل قتله قومه: أي لا عار عليَّ في قتلكم إياي.

«١٠» الشعب: ما انفرج بين جبلين.

ملف العدد

دروس في الحج وموسم الطاعات

الحج ومظاهر التوحيد

الحج مدرسة تربوية

البيت العتيق

أفضل أيام الدنيا

أحكام الذبائح

فقه الأضحية

حرمة مكة والبيت الحرام

الحج

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً، والصلاة والسلام على النبي المجتبى والرسول المرتضى ﷺ وبعد ،،

فإن فريضة الحج تأتي على رأس العبادات التي تحقق التوحيد في أسمى معانيه فمظاهر العبودية في مناسك الحج ، ظاهرة وواضحة فقد جمع الله عز وجل فيه ألوان العبادات القلبية والقولية والبدنية والمالية، فإن أول شئ يبدأ به الحاج في هذه الشعيرة المباركة ويفتتح به ويستهل هي كلمة التوحيد، فهي المقصود الأعظم لهذا الدين كما يشتمل الحج على الصلاة وإنفاق المال والذبح لله عز وجل والصيام لمن لم يجد الهدي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر والحلم والشفقة والرحمة وتعليم الناس الخير وجهاد النفس ، وغير ذلك من ألوان العبادة، فأعظم بها من شعيرة وأكرم بها من عبادة.

والحج هو قصد البيت الحرام لأداء مناسك الحج أو العمرة، وكان الحج في شريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث أمره ربه ببناء البيت والأذان في الناس بالحج كما أخبر الله عز وجل فقال : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٧-٢٨]، فالحج عبادة جليلة القدر عظيمة الشأن فيها فوائد كثيرة منها غفران الذنوب كما قال ﷺ : «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» [رواه البخاري ٢/٢٠٩]، ومنها شهود المنافع العظيمة التى قال عنها الله سبحانه وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ والمنافع كثيرة دينية ودنيوية، ومنها كذلك ذكر الله في الأيام المعلومات والأيام المعدودات بالتكبير والتلبية والوقوف بعرفة والمزدلفة وذبح القرابين ورمي الجمار والطواف والسعي والمبيت بمنى .

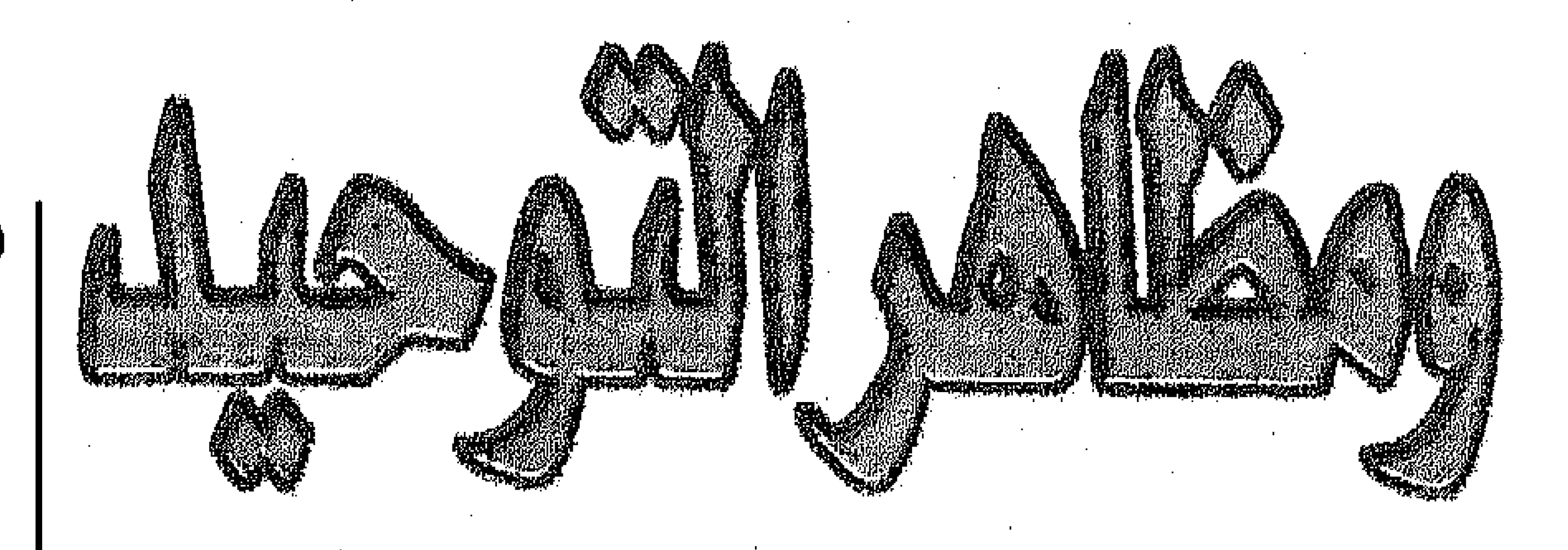
ومن منافع الحج العظيمة تعارف المسلمين حين يلتقون في تلك البقاع الطاهرة والمشاعر المقدسة في المسجد الحرام وفي صعيد عرفات وبقية المشاعر، يلتقون في زمن واحد وفي مكان واحد لأداء عبادة واحدة لرب واحد قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

الحج وسلوكيات الجاهلية

استمر الحج بعد إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام على الحنيفية السمحة لم تشُبْه شائبة ولكن مع مرور الأيام وتطاول الزمن دخله بعض التغيير في عهد الجاهلية؛ من ذلك:

١ ـ أنهم كانوا يضمنون تلبيتهم الشرك بالله عز وجل حيث يقولون: «لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك» فجعلوا لله شريكاً من عباده فرد الله عليهم بقوله: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم:٢٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً، فإذا لم تخافوا هذا من مواليكم ولم ترضوا هذا لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي؟!.

٢ ـ وكانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون أن ذلك طاعةً أمر الله بها فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨]، أي لا يليق بكماله وحكمته



إعداد/ معاوية محمد هيكل

أن يأمر عباده بتعاطي الفواحش لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره .

ثم أمرهم ربنا سبحانه وتعالى باللباس وستر العورة في الصلاة والطواف وغيرهما فقال سبحانه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

٣ - وكان سكان الحرم لا يقفون مع الناس في عرفة ، بل يقفون في المزدلفة لأنهم بزعمهم من أهل الحرم ولا يجوز لهم الخروج منه ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب في عرفات فرد الله عليهم ذلك وأمرهم بأن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى مزدلفة مع سائر الناس وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقال سبحانه : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

فأعاد الله سبحانه وتعالى الحج كما كان على ملة إبراهيم على يد محمد خاتم النبيين ﷺ على التوحيد الخالص وباللباس الساتر والوقوف بالمشاعر، وأعلن للناس قبل أن يحج بقوله: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» [رواه البخاري٤/٦٩] عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨] وبقوله تعالى : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

مظاهر التوحيد تتجلى في مناسك الحج

لقد أمر الله بأداء الحج والعمرة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، مما يدل على أن كل حج وعمرة لا يتوفر فيهما التوحيد فليسا مقبولين عند الله. وقد جعل الله مناسك الحج مظاهر لتوحيده، فمن مظاهر التوحيد في الحج:

أولاً: رفع الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله ونفي الشريك عنه وإعلان انفراده بالحمد والنعمة والملك: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك» يرددها المحرمون بين كل فترة وأخرى حتى يشرعوا في أداء المناسك.

فالحج من أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس حيث ينصرف العباد إلى مقتضى الاسترقاق ، وتظهر فيه معاني العبودية المحضة عندما تعظم شعائر الله ، ولذلك لبى أنس رضي الله عنه: «لبيك بحجة حقاً، لبيك تعبداً ورقًا» ولبى غيره «لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، لبيك وسعديك والخير كله بيديك، والرغباء إليك والعمل».

والتزم النبي ﷺ قول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وكلها إعلان بتوحيد الله عز وجل وإدامة للطاعة والعبودية له ، والاعتراف بفضله سبحانه، وهي في ذات الوقت مجانبة للمشركين الذين كانوا يلبون كما سبق بيانه. والمسلم يستشعر وهو يلبي قيمة العقيدة التي توحد قلوب العباد، ويعلم بتجاوب الكون من حوله، يقول رسول الله ﷺ: «ما ملبٍ يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني برقم (٢٩٢١)]

فالتلبية يتجلى فيها الإخلاص بأسمى معانيه، فهي كلمات عظيمة لها دلالات كبيرة في تحقيق الإيمان والتوحيد لأنها تعني الاستجابة لله تعالى بالحج كما أمر الله سبحانه، كما تشتمل على معاني المحبة والإجلال والتعظيم لله عز وجل لأن عبارة «لبيك» لا تصدر إلا لمن يحب، ولا يستحق ذلك كمالاً

وتقديساً وتعظيماً إلا ربنا عز وجل، فالتلبية من اللب ولب الشئ خلاصته، والتلبية كذلك فيها إثبات لصفات الكمال لله تعالى والإقرار به مثل الكلام والسمع والقرب، كما تضمنت التلبية كل معاني التوحيد لله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وكذلك إبطال الشرك والإلحاد.

وإعلان التلبية من المسلم هي تهيئة للنفس للاستجابة لدين الله عز وجل وشرعه، والاستعداد لقبول أوامر الله وسنة رسوله ﷺ في أعمال الحج وغيرها والكف عن المحظورات وأن العبد مستعد لإصلاح شأنه ظاهرًا وباطنًا.

ثانيًا: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الله تعالى أمر بالطواف ببيته، فقال تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩]، مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت فلا يجوز الطواف ببيتٍ غيره على وجه الأرض ولا بالأضرحة ولا بالأشجار والأحجار، ومن هنا يعلم الحاج أن كل طواف بغير البيت العتيق فهو باطل وليس عبادة لله عز وجل، وإنما هو عبادة لشياطين الإنس والجن، ومن أعجب العجب أن بعض الحجاج يعتقدون أن حجهم لا يكتب له الكمال بل لا يقبل إلا إذا عادوا إلى أوطانهم وطافوا حول أضرحة الأولياء بزعمهم، فبعدًا لقومٍ لا يفقهون.

ثالثًا: ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يعتقد أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله، فهو يستلمهما طاعة لله واقتداءً برسوله ﷺ. ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

ومن هنا يعلم المسلم أنه لا يجوز تقبيل شيء من الأبنية والأحجار إلا الحجر الأسود؛ لأن ذلك مخالف لشرع الله، ولأنها ليست من شعائر الله. بل من مناسك الجاهلية.

رابعًا: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الحاج حينما يفرغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة (قل يا أيها الكافرون)، وفي الثانية يقرأ (سورة الإخلاص)، لما تشتمل عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ففي السورة الأولى البراءة من دين المشركين وإفراد الله بالعبادة ، وفي السورة الثانية إفراد الله بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص، وبذلك يعرف العبد ربه ويخلص له العبادة ويتبرأ من عبادة ما سواه من خلال هذا الدرس العملي العظيم .

خامسًا: ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروة أن العبد يسعى؛ امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٥٨].

ومن ذلك يتعلم المسلم أنه لا يجوز السعي في أي مكان من الأرض إلا بين الصفا والمروة ؛ لأنهما من شعائر الله.

سادسًا: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن أعظم الذكر الذي يقال في يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير»، كما قال النبي ﷺ : «خير الدعاء دعاء عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير» ، فهذا إعلان في هذا المجمع العظيم وفي هذا اليوم المبارك لتوحيد العبادة من خلال النطق بهذه الكلمة وتكرارها لأجل أن يستشعر الحاج مدلولها ويعمل بمقتضاها فيؤدي أعمال حجه خالصة لله عز وجل من جميع شوائب الشرك .

سابعًا: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج ما شرعه الله في يوم العيد وأيام التشريق من ذكره وحده ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة:٢٠٣]

وذكر الله في هذه الأيام يتجلى في الأعمال العظيمة التي تؤدى في أيام منى من رمي الجمار وذبح الهدي وأداء الصلوات الخمس في هذه الأيام

المباركة، كل هذه الأعمال ذكر لله عز وجل.

فرمي الجمار ذكر لله؛ ولهذا يقول المسلم عند رمي كل حصاة: (الله أكبر)، وذبح الهدي ذكر لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٦-٣٧].

ومن هنا يتعلم المسلم أن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ، فلا يذبح لقبر ولا لولي ولا لجني أو مخلوق ؛ لأن الذبح عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك .

ثامنًا: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الله أمر بذكره أثناء أداء مناسكه وبعد الفراغ منها، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٠-٢٠٣].

شعائر الحج رد على دعاة إتباع العقل

تاسعًا: ومن مظاهر التوحيد أن الحج تحدٍ لعُبّاد العقل، ودعوة إلى الإيمان بالغيب وإتباع الأمر المجرد بعيداً عن العادات والمألوفات والحضارة المصطنعة والمجتمع القاسي، فالبيت الحرام يزوره الناس من كل فج عميق، شعثاً غبراً متواضعين لرب ذلك البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله . ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم في الحج أعمالاً لا تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣] والحكمة ظاهرة في الصلاة والزكاة والصيام، أما أعمال الحج فلا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها إلا باعث الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الإتباع فقط .. ولذلك قال أنس: لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً، ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها.

وعباد الرحمن إذا عرض لهم الشيطان بخاطر أو وساوس فقال لهم: سعت هاجر فلماذا تسعى ، ورمى إبراهيم لما عرض إبليس له فلماذا ترمي ؟ فاعلم أنها وسوسة ولابد من إرغام أنف الشيطان ، ولأن تخر من السماء إلى الأرض أهون عليك من أن تجد ما تجد فانت عبد لله ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

الحج إذعان للواحد الديان

وختامًا فالحج طاعة يتقلب بها الحاج بين المشاعر، يقيم ويرحل ويمكث ويتنقل ويخيم ويقلع ليست له حرية ولا اختيار ولا حكم إلا الامتثال فهو طوع إشارة ورهين أمر ، وهذا كانت حياة إبراهيم وحياة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، نزول وارتحال ومكث وانتقال وعقد وحل ونقض وإبرام ووصل وهجر لا خضوع لعادة ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى، ولذلك قال النبي ﷺ يوم عرفه: «كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث إبراهيم». [رواه الترمذي وقال حسن]

ولا يملك المسلم في النهاية إلا أن يهتف بقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

والحمد لله رب العالمين

البيت العتيق

الحمد لله بارئ الأكوان خالق الزمان والمكان، والصلاة والسلام على نبينا، وآله وصحبه الذين سبقونا بالإيمان وبعد..

لقد شاء الله أن يختار مكة لتكون أمًا لكل القرى على وجه هذه البسيطة وأن يضع فيها بيته فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[آل عمران:٩٦-٩٧]

ويقول الشوكاني في تفسيرها وقد اختلف في الباني له في الابتداء فقيل الملائكة وقيل آدم وقيل إبراهيم ويجمع بين ذلك بأول من بناه الملائكة ثم جدده آدم ثم إبراهيم. وبكة علم للبلد الحرام وكذا مكة وهما لغتان، وقيل إن بكة اسم لموضع البيت، ومكة اسم للبلد الحرام، وقيل بكة للمسجد ومكة للحرم كله، وقيل سميت بكة لازدحام الناس في الطواف، وقيل سميت بذلك لأنها كانت تدق أعناق الجبابرة ـ ومباركًا: أي كثرة الخير الحاصل لمن يستقر فيه أو يقصده، أي الثواب المتضاعف، والآيات البينات مثل الصفا والمروة، ومنها أثر القدم في الصخرة الصماء، ومنها الغيث إذا كان بناحية الركن اليماني كان الخصب في اليمن وإن كان بناحية الشامي كان الخصب بالشام وإذا عم البيت كان الخصب في جميع البلدان، ومنها هلاك من يقصده من الجبابرة وغير ذلك.

[فتح القدير ١/٣٦٢ بتصرف]

ونقول إن البيت بنص الآية هدى للناس فأيُّ هدى في هذه الحجارة المرصوصة؟ إنه الهدى في التوجه إليه في الصلاة لأن غير المسلمين ضلوا عنه وتوجهوا إلى غيره ففقدوا الهدى فقال تعالى مبينًا أن الاهتداء في التوجه إليه في الصلاة والدعاء وغير ذلك فقال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٠].

والبيت هدى في ذاته لأنه الرمز الحسي لحبل الله الذي يعتصم به المؤمنون فقد قال الله سبحانه وتعالى عن القرآن: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾، وقال عنه أيضًا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾، وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾، فالقرآن هدى في ذاته والبيت العتيق هدى كذلك للعالمين لأنه قبلتهم في الأرض كما أن البيت المعمور قبلة أهل السماء ولا تصح صلاة الفريضة لأهل الأرض بحرًا أو أرضًا أو جوًا إلا بالتوجه إليه إلا في بعض الحالات مثل القتال والمواجهة مع الأعداء مثلا.

والبيت العتيق أسس على التوحيد الخالص لله، والتطهير من كل صور الشرك قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦] وهكذا يجب أن تكون كل البيوت والمساجد تُبنى على اسم الله وتُطهر لله فلا تبنى على اسم أحد ولا يذكر فيها إلا اسم الله ولا طواف إلا ببيت الله لأن الطواف عبادة وصلاة قال تعالى: ﴿ثُمَّ

لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

ولما رواه ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «الطواف صلاة إلا أن الله تعالى أحل فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير». [رواه الترمذي والحاكم وصححه] فالطواف حول البيت عبادة وحول أي ضريح أو قبر أو أي شيء في الأرض خلاف البيت شرك. فالطواف بالبيت هو ترجمة عملية للفظة لبيك لا شريك لك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، ثم هو ربط بين القلب والبيت برباط من سبعة عُقد يعقدها القلب بالبيت حِسًا ومعنى فيكون البيت حسًا على يسار الطائف وقمة قلب الطائف حسب وضعها في الصدر تميل إلى ناحية اليسار حيث يوجد البيت فكأن البيت عمود والقلب حبل تم لفه وربطه حول البيت سبع لفات، وهذه اللفات السبع ما هي إلا إحكام لعُرى التوحيد، فمن الخزي نقض هذه العُرى بشيء من الشرك مثل الطواف حول الأضرحة كما يفعل بعض الناس عندما يعود من حجه أو عمرته يذهب إلى ضريح البدوي فيطوف حوله كأنه يوثق حجه أو عمرته أو يعتمدها منه وربط القلب بالبيت معناه أنك لا تسمع من الطائفين إلا دعاء الله سبحانه فلا تسمع دعاء لأحد المخلوقين.

ولا استغاثه بهم ولا طلب للمدد من أحد سوى الله سبحانه ويتحقق عند البيت قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ فعلى المسلمين أن يستمروا على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٩١] فإذا نكصوا على أعقابهم وعادوا إلى شركياتهم في أمصارهم سلبهم الله الأمن وذاقوا الجوع والخوف.

البيت قيام للناس

قال الشوكاني: أنه مداد لمعاشهم ودينهم أي يقومون فيه بما يصلح دينهم، ودنياهم يأمن فيه خائفهم ويُنصر فيه ضعيفهم ويربح فيه تجارهم ويتعبد فيه متعبدهم. [فتح القدير ٧٩/٢] ونقول يظل المسلمون والإسلام بخير ما بقي هذا البيت بخير فهو قوام وحدة المسلمين رغم اختلافهم كما أخبر نبيهم فهم في طوافهم حوله وصلاتهم إليه متحدون رغم ما بينهم من اختلاف في العبادات والعقائد. حتى إذا زال هذا الخير وكثر الشر وأهله في آخر الزمان مَكن الله من هذا البيت رجلا ضعيفًا فخربه، ونسمع بين الحين والآخر من يقول من أعداء هذا الدين دمروا الكعبة أو انسفوها بقنبلة أو صاورخ، ونقول هذا لا يمكن أن يكون لأسباب وهي:

أولها: أن الله سبحانه يحفظ بيته، وحَفِظه وكان سدنته مشركين من أبرهه وجيشه وفيله إن شاء الله يحفظه وسدنته موحدون ويقصده موحدون من حين إلى حين من نسف وتفجيرات الملحدين الكافرين.

ثانيها: لو كان هذا ممكنًا لأخبر به النبي ﷺ ولم يخبر أنه يتم نسفه أو تفجيره وإنما أخبر بالتخريب الذي يقع في آخر الزمان وكذلك الجيش الذي يغزونه وما يحدث لهم لما رواه مسلم عن حفصة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليَؤُمَنَّ هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم». ولما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» وكل هذا يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ليُحَجَّنَّ البيتُ وليُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج».

ثالثها: أنه لن يستحل هذا البيت إلا أهله لما رواه أحمد بسند صححه الألباني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهلُهُ فإذا استحلوه فلا يُسأل على هلكة العرب ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يُعمر بعده أبدًا وهُمُ الذين يستخرجون كنزه». [الصحيحة برقم ٥٧٩] ويكون هذا بطريقة بدائية كما في

البخاري عن ابن عباس يصوره الرسول ﷺ: «كأني به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا» ويقول ابن حجر تعليقًا على الحديث الأخير: ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض من يقول الله الله كما في صحيح مسلم: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» ولهذا جاء قوله عليه السلام: «لا يُعمر بعده أبدًا» وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام في زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاثمائة فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى كثرة وقلعوا الحجر الأسود فحولوه إلى بلادهم ثم أعادوه بعد مدة طويلة، ثم غزى مرارًا بعد ذلك وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين فهو مطابق لقوله عليه السلام «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله». [فتح الباري ٥٣٩/٣] فالبيت يُحج بعد خروج يأجوج ومأجوج حتى إذا خربه ذو السويقين كان هذا دليلا على قرب الساعة لحديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى لا يُحجَّ البيتُ».

[الصحيحة برقم ٢٤٣٠ سنده صحيح]

من هذه الأحاديث والأقوال يتبين أن البيت محفوظ إن شاء الله من أي نسف أو تفجير مهما قال وتوعد الكافرون والمجرمون ولن يقع له إلا ما أخبر به النبي الأمين في الوقت الذي أخبر به والكيفية ولذلك قال فيما رواه ابن عمر مرفوعًا بسند صححه الألباني قال رسول الله ﷺ: «استمتعوا من هذا البيت فإنه قد هُدِمَ مرتين ويرفع في الثالثة». [الصحيحة برقم ١٤٥١] وسيظل مرفوعًا بإخبار من لا ينطق عن الهوى فاستمتعوا به عباد الله بالحج والعمرة والطواف والعكوف والاعتكاف عنده.

الآيات البينات في البيت

١. مقام إبراهيم عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة:١٢٥] ويقول ابن كثير في تفسيرها: الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفًا به شرعًا وقدرًا من كونه مثابة للناس، أي محلا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضي منه وطرًا ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾، وفي قوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ قال مستشهدًا بحديث جابر: استلم رسول ا لله ﷺ الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلي مقام إبراهيم فقرأ ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين وكذا عن البخاري عن ابن عمر قال قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين فهذا كله يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحَجَرُ الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمّل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه، وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب:

وموطئُ إبراهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعل

وكان المقام ملصقًا بجدار الكعبة قديمًا وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من البناء وضعه إلى جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا - والله أعلم - أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وإنما أخره إلى موضعه ... عمر بن الخطاب أحد الأئمة المهديين قال فيه رسول الله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر». [٢٤٦/١ بتصرف]

وهذا الأثر لقدم الخليل في الحجر يقول عنها ابن حجر في الفتح: وأن أثر قدميه في المقام كرقم الباني في البناء ليذكر به بعد موته فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه وهي مناسبة لطيفة. [فتح الباري ١٩/٨]

٢. الحجر الأسود:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسانٍ ينطق به ليشهد على من استلمه بحق». [صحيح الجامع ٥٢٢٢ وسنده صحيح] وعنه مرفوعًا «والله ليَبعثنه الله يوم القيامة - يعني الحجر - له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق». [صحيح الجامع ٦٩٧٥ سنده صحيح] وعند الترمذي «أن الحجر الأسود نزل من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسوّدته خطايا بني آدم». [٢١٧/٣ حسن صحيح]

ويقول ابن حجر في الفتح تعليقا على الحديث الأخير اعترض بعض الملحدين على الحديث بقولهم كيف سودته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات أهل التوحيد؟! والجواب لو شاء الله لكان ذلك وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ، على العكس من البياض.

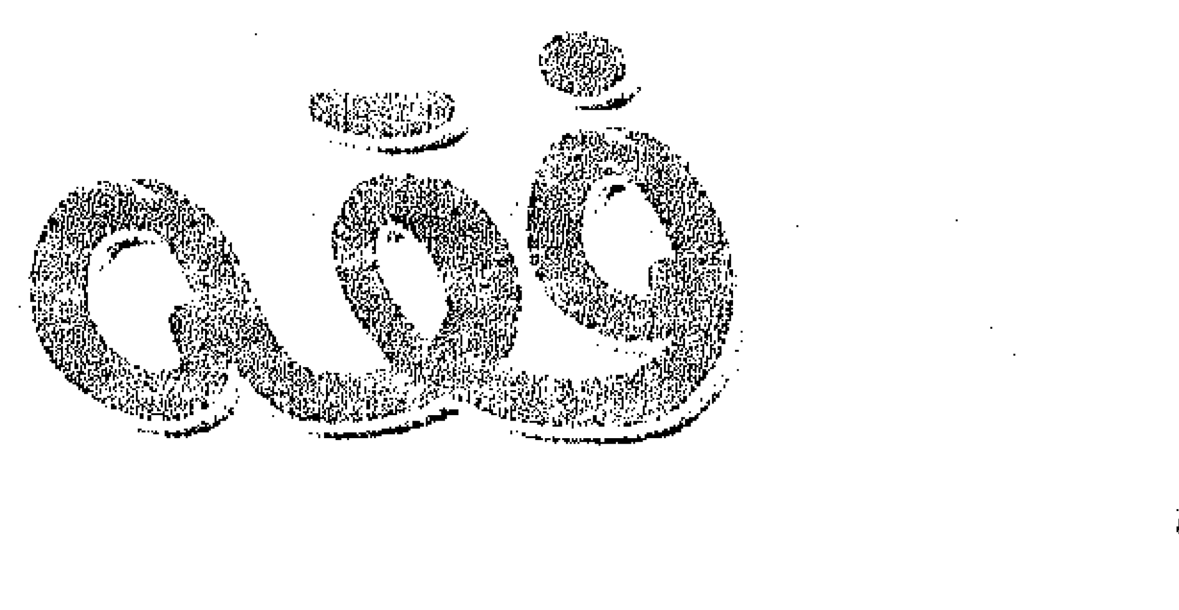
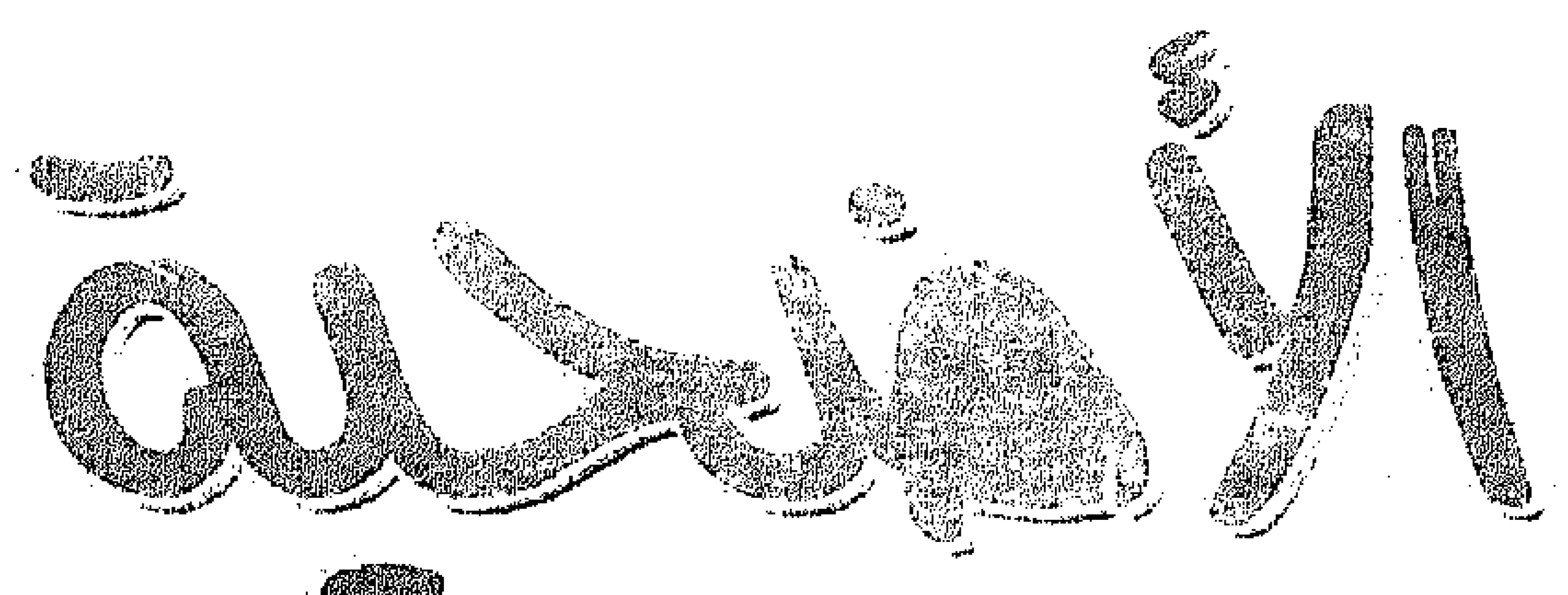
وقال الطبري في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد. [فتح الباري ٥٤١/٣] وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن حديث [الحجر الأسود يمين الله في الأرض] فقال: روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت والمشهور إنما هو عن ابن عباس قال: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه». وقال ومن تدبر اللفظ المنقول يتبين له أنه لا إشكال فيه إلا على من لم يتدبره فإنه قال: «يمين الله في الأرض» فقيده بقوله (في الأرض) ولم يطلق فيقول يمين الله وحكم اللفظ المقيد خالف حكم اللفظ المطلق ومعلوم أن المشبه غير المشبه به وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله تعالى كما جعل للناس بيتًا يطوفون به جعل لهم ما يستلمونه ليكون ذلك بمنزلة تقبيل يد العظماء فإن ذلك تقريب للمقبل وتكريم له كما جرت العادة. [مجموع الفتاوى (٣٩٧/٦-٣٩٨)] ويقول ابن عثيمين رحمه الله: وتقبيل الحجر عبادة، حيث يقبل الإنسان حجرًا لا علاقة له به سوى التعبد لله سبحانه وتعالى بتعظيمه واتباع رسوله كما في حديث عمر عند البخاري «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

[فتح الباري ٣ برقم ١٥٩٧]

٣. زمزم:

روى الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برْهوت بقية حضرموت كرجل الجراد من الهدام يصبح يتدفق ويمسي لا بلال له». [الصحيحة ٣ برقم ١٠٥٦، سنده حسن] وماء زمزم ينبع من أقدس بقعة على وجه الأرض وتقع البئر شرقي الكعبة المشرفة، وفي نشره للرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي جاء فيها خلصت الدراسة إلى أن بئر زمزم تستقبل مياهها من صخور قاعية عبر ثلاثة تصدعات صخرية تمتد من تحت الكعبة المشرفة ومن جهة الصفا والمروة وتلتقي في البئر وتضخ ما بين (١١ - ١٨,٥) لترًا في الثانية فقس على هذا كم ضخت البئر منذ نبشها جبريل عليه السلام بعقبه لإسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام؟!

ونقول: زمزم من أعظم الآيات في البيت ففي أعلى البيت هدي وتحت أساسه شفاء وطعام وسقيا تكفي الأنام وتداوي بإذن الله من الأسقام فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ: «يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم». [الصحيحة برقم ٨/١٣ سنده جيد] ومن الإعجاز فيها أنها لو شربت الملايين منها كفتهم وإذا توقفوا عن الشرب توقفت عن الضخ ولم تجر على وجه الأرض وتفور. وعند مسلم لما جاء أبو ذر ودخل الحرم ولقيه رسول الله فقال له: «متى كنت هنا؟» قال منذ ثلاثين بين ليلة ويوم قال: «فمن كان يطعمك؟» قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنتُ حتى تكسرت عُكَنُ بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع قال: «إنها مباركة إنها طعامُ طعم» وعند أحمد وابن ماجة عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له».وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فقه الأضحية

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن للأضحية أحكامًا وآدابًا، أحببت أن أُذكِّر بها إخواني الكرام من خلال هذه الكلمات الموجزة:

تعريف الأضحية:

الأضحية اسم لما يذبحه المسلم من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة تقربًا إلى الله تعالى، وقال الإمام النووي - رحمه الله -: «سميت الأضحية بهذا الاسم لأنها تفعلُ في الضحى، وهو ارتفاع النهار». [مسلم بشرح النووي جـ٧ ص١٢٧]

حكم الأضحية:

الأضحيـة سُنَّة مؤكدة، يكره تركها لمن يقدر عليها. [المجموع للنووي جـ٨ ص٣٨٥/ المغني جـ١٣ ص٣٦]

روى مسلم عن أم سلمة، رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدُكم أن يضحي، فليمسك عن شعره وأظفاره».

[مسلم - الأضاحي - حديث ٤١]

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - في هذا الحديث: دلالة على أن الضحية ليست بواجبة لقوله ﷺ: «وأراد أحدُكم أن يضحي». [سنن البيهقي جـ٩ ص٢٦٣]

في هذا الحديث علق النبي ﷺ الأضحية بالإرادة، والتعليق بالإرادة ينافي الوجوب. روى عبد الرزاق عن أبي مسعود الأنصاري قال: «إني لأدعُ الأضحية وإني لموسر، مخافة أن يرى جيراني أنه حتم عليَّ». [إسناده صحيح، مصنف عبد الرزاق جـ٤ ص٣٨٣]

وروى عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه قال لرجل: ضحى رسول الله ﷺ، وإن تركته فليس عليك.

[إسناده صحيح، مصنف عبد الرزاق جـ٤ ص٣٨٠]

وقال الإمام مالك بن أنس: «الضحية سنة وليست بواجبة، ولا أحبُ لأحد ممن قوي على ثمنها أن يتركها». [موطأ مالك جـ١ - كتاب الضحايا ص٣٨٨]

فضل الأضحية:

روى عبد الرزاق عن طاوس قال: «ما أنفق الرجل من نفقة أعظم أجرًا من دم يُهراق في هذا اليوم - أي يوم النحر - إلا رحم يصلها».

[إسناده صحيح، مصنف عبد الرزاق جـ٤ ص٣٨٦]

الأنعام التي تكون منها الأضحية:

اتفق أهل العلم أن الأضحية لا تصح إلا من الإبل والبقر، ومنها الجاموس، والغنم ومنها الماعز، بسائر أنواعها، فيشمل الذكر والأنثى، والخصي والفحل، ولا تجزئ غير هذه الأنواع، لأنه لم ينقل أحد من العلماء عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، التضحية بغير هذه الأنواع من الأنعام، ولأن الأضحية عبادة تتعلق بالحيوان، فتختص بهذه الأنواع المذكورة فقط. قال تعالى: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج:٣٤].

[الفقه الإسلامي الزحيلي جـ٣ ص٦١١]

أفضل الأضاحي:

الإبل ثم البقر ثم الغنم ثم الاشتراك في الإبل ثم الاشتراك في البقر. [المغني جـ١٣ ص٣٦٦]

قال البخاري - رحمه الله - قال يحيى بن سعيد الأنصاري: سمعت أبا أمامة بن سهل قال: كنا نسمن الأضحية بالمدينة، وكان المسلمون يسمنون.

[البخاري - كتاب الأضاحي باب ٧]

روى عبد الرزاق عن عروة بن الزبير قال: «لا يُهدي أحدُكم لله ما يستحي أن يُهدي لكريمه، الله أكرم الكرماء وأحق من اختير له.

[إسناده صحيح، مصنف عبد الرزاق جـ٤ ص٣٨٦]

سنن الأضحية عند الذبح:

يُجْزئ من الضأن ما له ستة أشهر ودخل في السابع، ومن الماعز ما له سنة كاملة ودخل في الثانية، ومن البقر ما له سنتان كاملتان ودخل في الثالثة، ومن الإبل ما له خمس سنين ودخل في السادسة، يستوي في ذلك الذكر والأنثى، ولا يجزئ أقل من ذلك. [الاستذكار لابن عبد البر جـ١٥ ص١٥٤/ المغني لابن قدامة جـ١٣ ص٣٦٨:٣٦٩]

ويجب على المسلم الذي يريد أن يُضحي ويحرص على اتباع السنة أن يتأكد من سن الأضحية عند شرائها وذلك بسؤال أهل الخبرة.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا تذبحوا إلا مُسنة إلا أن يَعْسُر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن». [مسلم حديث ١٩٦٣]

التضحية بالخصي من الأنعام:

يجوز أن تكون الأضحية بالخصي من الإبل أو البقر أو الغنم.

روى ابن ماجه عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يضحي، اشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين، أملحين موجوءين.

[حديث صحيح، صحيح ابن ماجه حديث ٢٥٣١]

موجوءين: أي: خصيين. [لسان العرب جـ٦ ص٤٧٦٦]

الخِصاء: إذهاب عضو غير مستطاب، يَطيبُ اللحم بذهابه ويكثر ويسمن. [المغني جـ١٣ ص٣٧]

ما لا يُجزئ من الأضاحي:

روى أبو داود عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «أربع لا تجوز في الأضاحي، العوراء، بَيِّنٌ عَوَرها، المريضة بينٌ مرضها، العرجاء بينٌ ظلَعُها، والكسيرة التي لا تُنْقي. أي لا نقي لها، وهو المخ.

[حديث صحيح، صحيح ابي داود ٢٤٣١]

قال ابن عبد البر: أما العيوب الأربعة المذكورة في هذا الحديث فمجمع عليها، لا أعلم خلافًا بين العلماء فيها، ومعلوم أن ما كان في معناها داخل فيها، إذا كانت العلة في ذلك قائمة، ألا ترى أن العوراء إذا لم تجز في الضحايا، فالعمياء أحرى ألا تجوز، وإذا لم تجز العرجاء، فالمقطوعة الرِّجْل أحرى ألا تجوز، وكذلك ما كان مثل ذلك كله».

[الاستذكار لابن عبد البر جـ١٥ ص١٢٤]

العيوب اليسيرة في الأضحية معفو عنها:

قال الخطابي عند شرحه لحديث «أربع لا تجوز في الأضاحي» في هذا الحديث دليل على أن العيب الخفيف في الضحايا معفو عنه، ألا تراه يقول: بيّنٌ عورها، بين مرضها، بينٌ ظلعها، فالقليل غيرُ بينٍ، فكان معفوًا عنه». [معالم السنن للخطابي جـ٢ ص١٩٩]

الشاة الواحدة تجزئ عن الرجل وأهل بيته:

يجب أن نعلم أولا أن أهل بيت الرجل هم من تلزمه النفقة عليهم، قليلا كانوا أو كثيرًا، والأضحية بالشاة الواحدة تجزئ عنهم جميعًا.

[مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢٣ ص١٦٤]

روى ابن ماجه عن عائشة وأبي هريرة، رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يضحي، اشترى كبشين عظيمين سمينين، أقرنين أملحين موجوءين، فذبح أحدهما عن أمته، لمن شهد لله بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد وآل محمد ﷺ. [حديث صحيح، صحيح ابن ماجه ٢٥٣١]

وروى الترمذي عن عطاء بن يسار قال: سألت أبا أيوب الأنصاري: كيف كانت الضحايا على عهد النبي ﷺ؟ فقال: كان الرجل يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصارت كما ترى. [حديث صحيح، صحيح الترمذي حديث ١٢٦١]

روى عبد الرزاق عن عكرمة قال: كان أبو هريرة يجئ بالشاة، فيقول أهله: وعنا، فيقول: وعنكم.

[إسناده صحيح، مصنف عبد الرزاق جـ٤ ص٣٨٤]

الأضحية عن الجنين:

روى مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر لم يكن يضحي عما في بطن المرأة.

[صحيح، موطا مالك ـ الأضاحي ١٣]

الأضحية عن الغائب:

روى عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري: انضحي عن الغائب؟ فقال: لا بأس به.

[صحيح، مصنف عبد الرزاق جـ٤ ص٣٨٢]

الاشتراك في الأضحية الواحدة:

يجوز للمسلم أن يشترك في الأضحية مع غيره إذا كانت من الإبل أو البقر، فيجزئ البعير الواحد أو البقرة الواحدة عن سبعة أفراد.

[المغني لابن قدامة جـ١٣ ص٣٩٢]

روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة. [مسلم حديث ١٣١٨]

ذبح الأضاحي عن الأموات:

يجوز ذبح الأضاحي عن الأموات ويصل الثواب إليهم، إن شاء الله، لأن الأضحية نوع من الصدقات، والصدقة تصح عن الميت وتنفعه.

روى ابن ماجه عن عائشة وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يضحي، اشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوءين، فذبح أحدهما عن أمته، لمن شهد لله بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد وعن آل محمد ﷺ.

[حديث صحيح، صحيح ابن ماجه حديث ٢٥٣١]

قال ابن تيمية: تجوز الأضحية عن الميت كما يجوز الحج عنه والصدقة عنه ويُضحى عنه في البيت، ولا يذبح عند القبر أضحية ولا غيرها.

[فتاوى ابن تيمية جـ٢٦ ص٣٠٦]

وقال محمد شمس الحق العظيم آبادي: الثابت عن النبي ﷺ أنه كان يضحي عن أمته، ممن شهد لله بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ وعن نفسه وعن أهل بيته، ولا يخفى أن أمته ﷺ ممن شهد لله بالتوحيد وشهد له بالبلاغ، كان كثير منهم موجودًا في زمن النبي ﷺ وكثير منهم توفوا في عهده ﷺ، فالأموات والأحياء كلهم من أمته ﷺ ودخلوا في أضحية النبي ﷺ، والكبش الواحد كما كان للأحياء من أمته، فهو كذلك للأموات من أمته ﷺ بلا تفرقة.

[عون المعبود جـ٧ ص٣٨٤]

ما يتجنبه صاحب الأضحية:

روى مسلم عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «من كان له ذبح يذبحه، فإذا أهلَّ هلالُ ذي الحجة فلا يأخذن من شَعْره ولا من أظفاره شيئًا حتى يضحي». [مسلم ـ الأضاحي حديث ٤٢] النهي في هذا الحديث يشمل شعر الرأس والشارب والإبط والعانة.

وقت ذبح الأضحية:

يبدأ وقت الأضحية بعد الانتهاء من صلاة العيد أو مرور وقت بمقدار الانتهاء من صلاة العيد ويمتد الذبح ليلا ونهارًا حتى آخر أيام التشريق الثلاثة.

[الاستذكار جـ١٥ ص١٩٨/ المجموع جـ٨ ص٣٨٩:٣٩١]

التحذير من ذبح الأضاحي قبل صلاة العيد:

لا يجوز ذبح الأضحية قبل صلاة العيد أو قبل مرور وقت بمقدار صلاة العيد.

[سبل السلام للصنعاني جـ٤ ص٥٣٣]

روى البخاري عن البراء قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب فقال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن نحر قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء». [البخاري حديث ٩٦٥]

وروى مسلم عن جُندب بن سفيان البجلي قال: شهدت الأضحى مع رسول الله ﷺ، فلم يَعْدُ أن صلى وفرغ من صلاته وسلَّم، فإذا هو يرى لحم الأضاحي قد ذُبحت قبل أن يفرغ من صلاته فقال: من كان ذبح أضحيته قبل أن يصلي، فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح فليذبح باسم الله». [مسلم حديث ١٩٦٠]

التوكيل في ذبح الأضحية والتصرف فيها:

من السنة أن يقوم صاحب الأضحية بذبحها بنفسه، روى الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين، أقرنين، ويضع رِجْله على صفحتهما ويذبحهما بنفسه.

[البخاري حديث ٥٥٦٤/ مسلم حديث ١٩٦٦]

ويجوز لصاحب الأضحية أن يُنيب غيره في ذبحها والتصرف فيها بلا حرج، ولا خلاف بين أهل العلم في جواز التوكيل وذلك لأن النبي ﷺ نحر بيده ثلاثًا وستين بدنة ثم أعطى السكين لعلي بن أبي طالب فنحر الباقي وكان النبي ﷺ قد أهدى مائة بدنة في حجة الوداع. [البخاري ١٧١٨/ مسلم ١٢١٨]

توجيه الأضحية إلى القبلة:

يُستحبُ عند ذبح الأضحية أن تُوَجَّه تجاه القبلة.

روى مالك عن نافع قال: كان عبد الله بن عمر ينحر هديه بيده، يصفهن قيامًا ويوجههن إلى القبلة. ثم يأكل ويطعم.

[صحيح، موطا مالك ـ الحج ـ حديث ١٤٥]

ما يقال عند ذبح الأضحية:

من السنة عند ذبح الأضاحي أن يقول صاحب الأضحية ـ أو نائبه باسم الله والله أكبر، اللهم تقبَّل من فلان ويذكر اسمه، ويذكر الوكيل اسم من أنابه،

وآل فلان ويُذكر اسم صاحب الأضحية.

[مسلم حديث ١٩٦٧]

أجرة الجزار:

يجب على صاحب الأضحية أو من ينوب عنه أن يعطي الجزَّار أجرة عمله من عنده، ولا يجوز أن يعطيه أجرته من لحم الأضحية أو يعطيه جلدها بدلا من الأجرة لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك.

روى مسلم عن علي بن أبي طالب قال أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدنه وأن أتصدق بلحمها وجلودها وأجلَّتها وأن لا أعطي الجزَّار منها. قال «نحن نعطيه من عندنا». [مسلم حديث ١٣١٧]

فائدة هامة:

يجوز لصاحب الأضحية أن يُعطي الجزَّار شيئًا من لحم الأضحية على سبيل الهدية أو الصدقة، ولا حرج في ذلك، لأنه مستحق للأخذ منها كغيره من الناس، بل هو أولى لأنه باشرها وتاقت نفسه إليها.

[المغني لابن قدامة جـ١٣ ص٣٨١-٣٨٢/ فتح الباري لابن حجر جـ٣ ص٦٥٠:٦٥١]

تقسيم لحوم الأضاحي:

يُستحب أن تقسم الأضحية ثلاثة أقسام: فيأكل أهل البيت ويدخرون ثلث الأضحية، ويتصدقون بثلث على الفقراء والمساكين ويُهدون لأصدقائهم الثلث الباقي. [الاستذكار جـ١٥ ص١٧٣/ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٢ ص٥٢/ المغني جـ١٣ ص٣٧٩]

روى مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ قال عن لحوم الأضاحي: «كلوا وادخروا وتصدقوا». [مسلم حديث ١٩٧١]

وقفات هامة مع الأضحية:

١ - إذا عَيَّن المسلم أضحية، فولدت، فولدها تابع لها وحكمه حكمها، سواء كان حملا قبل التعيين أو حدث بعده. [الأم للشافعي جـ٢ ص٢٢٤/ المغني جـ١٣ ص٣٧٥]

٢ - إذا أوجب المسلم على نفسه أضحية سليمة من العيوب ثم أصابها عيب يمنع الإجزاء بتضحيتها، من غير إهمال منه، ذبحها وأجزأته ولا شيء عليه. [الأم للشافعي جـ٢ ص٢٢٥/ المغني جـ١٣ ص٣٧٣:٣٧٧]

٣ - إذا أوجب شخص على نفسه أضحية معينة ثم أصابها تلف أو سُرقت أو ضلت بإهمال منه وجب عليه أن يذبح مثلها أو يكون عليه قيمتها يوم أتلفها، وأما إذا حدث ذلك بغير تفريط منه فلا شيء عليه، فإن عادت إليه الأضحية التي سرقت ذبحها سواء في زمن الذبح أو بعده.

[الأم جـ٢ ص٢٢٥/ المغني جـ١٣ ص٣٧٤]

٤ - يجوز لصاحب الأضحية إذا عينها أن يستبدلها بأفضل منها وليس بأقل منها.

[المغني جـ١٣ ص٣٨٤]

٥ - لا يجوز بيع شيء من الأضحية، لا لحمها ولا جلدها ولا صوفها، واجبة كانت أو تطوعًا، لأنها تعينت بالذبح وقد جعلها صاحبها لله تعالى، ويجوز الانتفاع بجلدها وصوفها أو التصدق به.

[الأم جـ٢ ص٢٢٤/ المغني جـ١٣ ص٣٨٢:٣٨٣]

٦ - مَنْ عيَّن أضحية ثم مات قبل ذبحها، وجب على ورثته ذبحها، ولا يجوز بيعها والتصدق بثمنها، ولا يجوز بيعها لسداد دَيْنه لأن دَيْن الله أحق بالقضاء. [المغني جـ١٣ ص٣٧٨]

٧ - من نذر أضحية نذرًا مطلقًا (أي غير مقيد، كان يقول: نذرت هذه الأضحية لله تعالى) ثم ذبحها، فله أن يأكل منها وأهل بيته ولا حرج في ذلك لأن نذر الأضحية محمول على المعهود، والمعهود من الأضحية ذبحها والأكل منها. [المغني جـ١٣ ص٣٩١]

٨ - من أوجب على نفسه أضحية ثم لم يذبحها حتى خرج وقت الذبح، وجب عليه ذبحها في أقرب وقت ويصنع بها ما يصنع بالمذبوحة في وقتها.

[المغني جـ١٣ ص٣٨٧]

٩ - الأضحية أفضل من التصدق بثمنها لأن نَفْس الذبح وإراقة الدم هو المقصود، وهو عبادة مقرونة بالصلاة كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] ولأن النبي ﷺ ضحى وكذلك الخلفاء من بعده، ولو علموا أن الصدقة أفضل من الأضحية لعدلوا إليها.

[المدونة جـ٢ ص٧٠/ المجموع جـ٨ ص٤٢٥/ المغني جـ١٣ ص٣٦١]

والحمد لله رب العالمين.

من نور كتاب الله

الحج مع القدرة والاستطاعة

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦-٩٧].

من هدي رسول الله ﷺ

فضل الحج

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ».

[سنن الترمذي]

من درر التفاسير

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

«فلا رفث» قال ابن عباس و مجاهد و مالك: الرفث الجماع، وأجمع العلماء على أن الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسد للحج، وعليه حج قابل والهدي. "ولا فسوق" يعني جميع المعاصي كلها، قاله ابن عباس و عطاء والحسن. وكذلك قال ابن عمر وجماعة: الفسوق إتيان معاصي الله عز وجل في حال إحرامه بالحج، قلت: الحج المبرور هو الذي لم يعص الله سبحانه فيه ولا بعده. "و لاجدال" قال محمد بن كعب القرظي: الجدال أن تقول طائفة: حجنا أبر من حجكم. ويقول الآخر مثل ذلك.وقيل: الجدال كان في الفخر بالآباء، والله أعلم.

[تفسير ابن كثير بتصرف]

صفة تلبية الحجيج

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن تلبية رسول الله ﷺ "لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك". وكان ابن عمر يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك، والخير بيديك لبيك والرغباء إليك والعمل.

[صحيح مسلم]

التجارة في الحج!

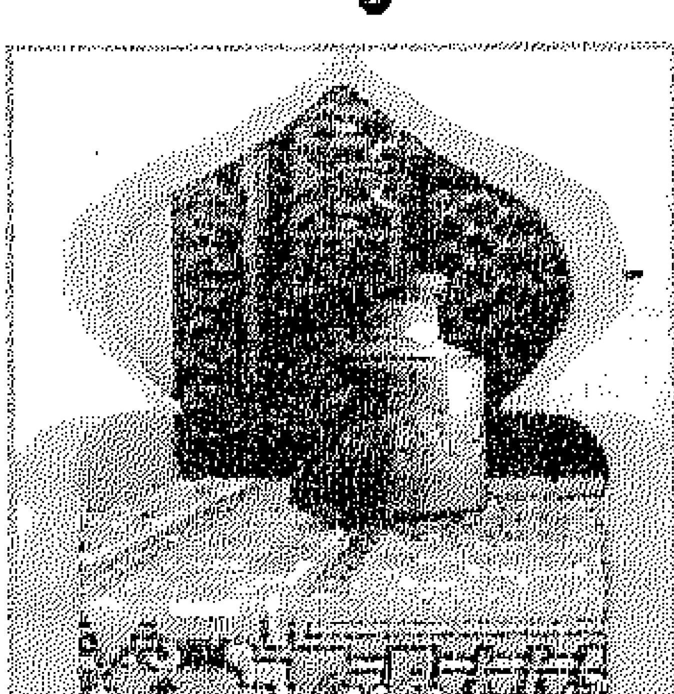
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن الناس في أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذي المجاز ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حُرُم فأنزل الله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي في مواسم الحج. [سنن أبي داود]

الحج عن الغير

عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن أي (السفر) قال: «حج عن أبيك واعتمر». [جامع الترمذي]

من أحكام الحج للنساء

قالت عائشة رضي الله عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نرى إلا الحج، فلما كنا بسَرِف أو قريبًا من سَرِف حضتُ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: «ما لك أنفست؟» (وهو الحيض) قلت: نعم، قال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي المناسك كلها غير أن لا تطوفي بالبيت». [سنن ابن ماجة]





الحج عرفة

عن عبد الرحمن بن يعمر. قال: قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفات، الحج عرفات، الحج عرفات. أيام منى ثلاث فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج».
[الترمذي]

البيت الحرام أول المساجد

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم المسجد الأقصى». قال: قلت كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، فأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد». [البخاري]

حرمة مكة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد أي (لايقطع) شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه أي (لايقطع نباتها) قال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر (وهو نبات معروف طيب الرائحة). [النسائي]

دعاء يوم عرفة!

عن طلحة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له». [الترمذي]

فضل العشر من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام العشر افضل من العمل في هذه». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء».
[البخاري]

من أراد الذبح..!

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إذا رأيتم هلال ذي الحجة و أراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره و أظفاره.
[صحيح مسلم]

فضل صيام يوم عرفة!

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية و مستقبلة».
[صحيح مسلم]

التحذير من بيع جلد الأضحية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من باع جلد أضحيته فلا أضحية له».
[مستدرك الحاكم]

من آداب الطواف

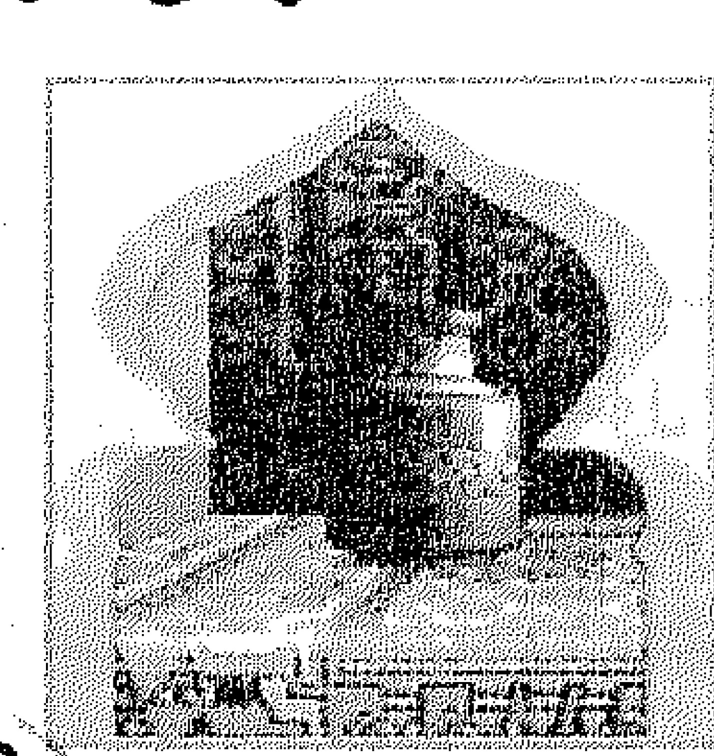
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير». [الترمذي]

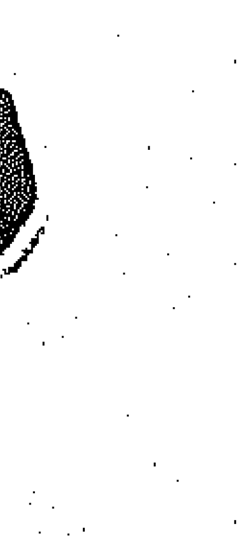
من سنن العيد!

عن أبي رافع أن النبي ﷺ: كان يخرج إلى العيدين ماشيًا ويصلي بغير أذان ولا إقامة ثم يرجع ماشيا في طريق آخر. [صحيح الجامع]

التكبير في جميع الأحوال!

كان عمر رضي الله عنه يكبر في قُبتّه بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج تكبيرًا. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه وممشاه، تلك الأيام جميعًا. وكانت ميمونة تكبر يوم النحر، وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان و عمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد. [صحيح البخاري]





من أحكام

الذبائح: جمع ذبيحة، وهي الحيوان المذبوح، الذي يتقرب به المسلم إلى الله عز وجل لأنها عبادة من العبادات.

قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

والذبح يكون في البقر والغنم، أما الإبل فلها النحر خاصة.

شرائط الذبح

ثلاثة أنواع: شرائط في المذبوح، وشرائط في الذابح، وشرائط في الآلة.

شرائط المذبوح:

١- أن يكون حيًا وقت الذبح.

٢- أن يكون زُهوق روحه بمحض الذبح.

٣- ألا يكون صيدًا حرميًا، لأن التعرض لصيد الحرم بالقتل والدلالة عليه والإشارة إليه محرم.

شرائط الذابح:

١- أن يكون عاقلاً.

٢- أن يكون مسلمًا أو كتابيًا- على تفصيل في ذلك.

٣- أن يكون حلالاً (غير محرم بحج أو عمرة).

٤- أن يسمي الله تعالى على الذبيحة.

٥- ألا يهل بالذبح لغير الله.

٦- أن يقطع من مقدمة العنق.

٧- ألا يرفع يده قبل تمام التذكية.

٨- أن ينوي التذكية.

شرائط آلة الذبح:

١- أن تكون قاطعة.

٢- ألا تكون سنًا أو ظفرًا قائمين.

ويستحب في الذبح:

١- أن يكون بآلة حديد حادة كالسكين والسيف الحادين؛ لحديث مسلم: «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».

٢- الإسراع في القتل.

٣- أن يكون الذابح مستقبل القبلة، والذبيحة موجهة إلى القبلة بمذبحها لا بوجهها، إذ هي جهة الرغبة إلى طاعة الله.

٤- إحداد الشفرة قبل إضجاع الشاة ونحوها.

٥- أن تضجع الذبيحة على شقها الأيسر برفق.

٦- عرض الماء على الذبيحة قبل ذبحها.

٧- الذبح باليد اليمنى.

٨- عدم المبالغة في القطع حتى يبلغ الذابح النخاع.

والذبائح التي يتقرب بها المسلم إلى الله عز وجل: الهدي والفدية، الأضحية، العقيقة، والنذر.

أولاً: الهدي

خاص بالحاج، وهو واجب على المتمتع، الذي أدى العمرة قبل الحج، قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦].

وواجب كذلك على القارن، الذي أدخل العمرة في الحج، وهذا في حق من ساق الهدي من بلده، فإذا لم يسق الهدي؛ فالأفضل أن يدخل مكة معتمرًا، ثم يحج وعليه هدي.

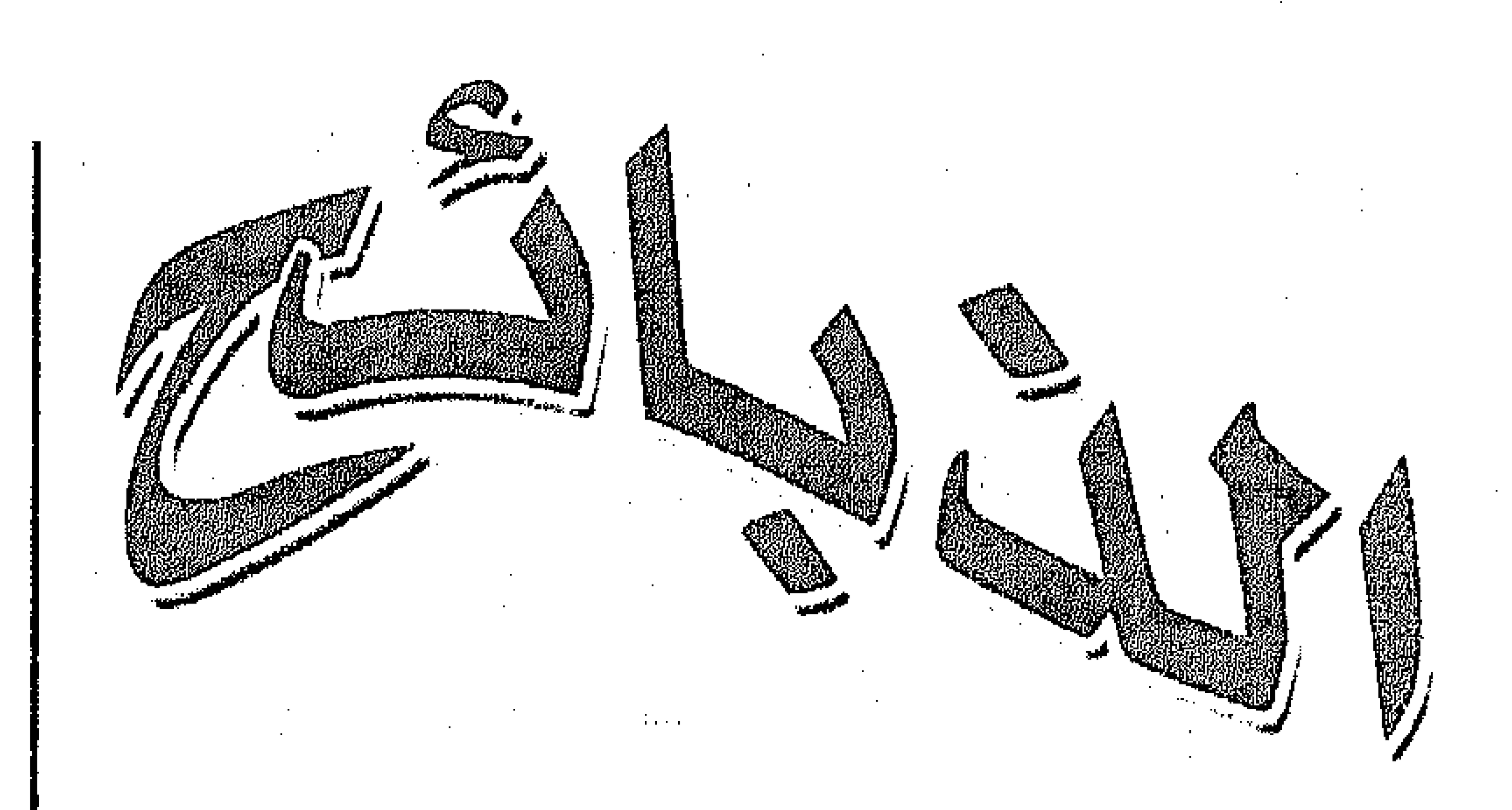
وقد أمر الله ضيوفه في البلد الأمين أن يكثروا من الذكر في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام لينحروها وليأكلوا منها ويطعموا البائس الفقير: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ ويختاره من أحسن الأنعام وأسمنها: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج:٣٢-٣٤]، ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧]، وللهدي ميقات زماني وآخر مكاني.

الميقات الزماني: بعد الوقوف بعرفة بدءًا من يوم العيد «النحر» وحتى آخر أيام التشريق.

الميقات المكاني: وذلك في منى، أو في مكة.

روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم».

ولا تجزئ الذبيحة من الغنم إلا عن حاج واحد، أما البقر والإبل، فتجزئ الواحدة منها عن سبعة أشخاص.



الذبائح

إعداد/ سعيد عامر

والهدي: يؤكل كله أو بعضه، ويحسن أن يجمع بين الأكل والصدقة.

وقد قامت الحكومة السعودية- مشكورة- بجهود عظيمة في ذلك، ومنها: المسالخ الفنية، والبرادات الضخمة التي تستوعب معظم ما يذبح للهدي والأضحية وغيرها في أيام التشريق، وتوزيع كميات كبيرة إلى المتضررين والمستحقين من المسلمين في أنحاء العالم، فجزى الله المحسنين خيرًا.

ثانيًا: الأضحية

اسم لما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقربًا إلى الله تعالى.

وفي هذه العبادة: مشاركة الحجاج في ذبح هداياهم، والاقتداء بالخليل إبراهيم عليه السلام ونبينا محمد ﷺ.

مشروعيتها:

قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، قال قتادة وعطاء وعكرمة وغيرهم: المراد صلاة العيد، ونحر الأضحية.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، مَن فعله فقد أصاب سنَّتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وفي الحديث المتفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه قال: ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين.

وفي رواية البخاري: أن رسول الله ﷺ انكفأ إلى كبشين أقرنين أملحين فذبحهما بيده.

حكمها: قال الإمام النووي: اختلف العلماء في وجوب الأضحية على الموسر، فقال جمهورهم: هي سنة في حقه، إن تركها بلا عذر لم يأثم، ولم يلزمه القضاء، وقد ترجم البخاري في صحيحه «باب سنة الأضحية» إشارة إلى مخالفة من قال بوجوبها، وعن محمد بن الحسن: هي سنة غير مرخص في تركها، قال الطحاوي: وبه نأخذ، وليس في الآثار ما يدل على وجوبها، فالأضحية سنة مؤكدة على كل قادر عليها من المسلمين.

ثالثًا: الفدية

تعريفها لغة: مال ونحوه يستنقذ به الأسير، أو نحوه فيخلص مما هو فيه، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧].

اصطلاحًا: هي البدل الذي يتخلص به المكلف من مكروه توجه إليه، وتكون عند ارتكاب أحد محظورات الإحرام، كحلق الرأس وغيره، وتكون عند ترك واجب من واجبات الحج، وتكون عند الإحصار، وهو منع الحاج أو المعتمر من المضي إلى بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وتكون عند الوقوع في الأسر.

الفدية في الحج:

إذا كان الإسلام قد شرع للحاج أن يعيش مدة إحرامه دون أن يقص أو يحلق شعره، قليل العناية بزينة الدنيا، فليس معنى ذلك أن يكلفه شططًا، أو ما لا يحتمل من أذى، فكما أمره بأشياء وحرم عليه أخرى في الحج فإنه جعل له منها بدائل؛ كصيام، أو نفع للفقراء والمساكين بالفدية والكفارات.

والكفارة أخص من الفدية، وهي ما يغطي الإثم. قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، والثلاثة المذكورة في الآية على سبيل التخيير بينها، لأن لفظة «أو» حرف تخيير، والصيام المذكور: ثلاثة أيام، والصدقة: ثلاثة آصع بين ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، ففي حديث كعب بن عجرة: «صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفَرَقٍ بين ستة مساكين، أو انسك ما تيسر». والفدية في الحج تكون عند: ترك واجب من واجبات الحج.

وقد اتفق الفقهاء على أنه تجب فدية في ترك واجب من واجبات الحج والعمرة، والواجب: ما لا

يفسد الحج بتركه، ولكن يجبر تركه بدم؛ أي بذبح شاة.

مثال: ترك الإحرام من الميقات، وترك الوقوف بالمزدلفة، وترك المبيت بمنى ليالي أيام التشريق، وترك الرمي للجمرات، وترك طواف الوداع، ويستثنى المرأة الحائض أو النفساء، إذا طافت طواف الإفاضة من مكة، ولا طواف عليها ولا فدية بتركها طواف الوداع، وهذا قول عامة الفقهاء، إلى غير ذلك من المأمورات التي لا يفوت الحج بفواتها.

الفدية عند فعل محظور من محظورات الإحرام:

ومحظورات الإحرام نوعان:

الأول: يوجب فساد الحج، وهو الجماع.

إذا فسد الحج بالجماع، فإن حكمه وجوب الفدية- الكفارة- والمضي في أفعال الحج حتى يتم، وقضاء الحج، سواء أكانت الحجة التي أفسدها واجبة عليه، أو كانت تطوعًا، لأنها بالدخول فيها والتلبس بها، صارت عليه واجبة.

والفدية لا خلاف في وجوبها، وإنما الخلاف في نوعها، فهي عند الجمهور: بدنة من الإبل، فإن عجز عنها فبقرة، وإن عجز عن البقرة فسبع شياه.

وعند الحنفية: ذبح شاة.

وتكون واجبة على الزوج والزوجة في حالة طاعة المرأة لزوجها في ذلك الجماع حال الإحرام.

وفي حالة إكراه المرأة على الجماع فلا فدية عليها، وتجب هنا على الزوج وحده، وهذا مذهب الحنابلة.

الثاني: محظورات لا توجب فساد الحج، وهي أنواع منها:

١- ما يرجع إلى اللباس.

لا خلاف في وجوب الفدية على المحرم إذا لبس عامدًا ما هو محظور عليه في إحرامه.

٢- ما يرجع إلى الطيب:

الاستعمال المحظور للطيب في حق المحرم، هو أن يلصق الطيب ببدنه أو ملبوسه على الوجه المعتاد، فيحرم على المحرم بعد إحرامه تطييب بدنه أو ثوبه أو شيء منهما، وإذا استعمل المحرم أو المحرمة الطيب وجبت عليه الفدية.

٣- حلق الشعر أو تقصيره:

لا يجوز للمحرم أن يحلق رأسه قبل يوم النحر؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ولحديث كعب بن عجرة عند مسلم قال: فيَّ أنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ وفيه قال ﷺ: «أيؤذيك هوامُّك؟» قال ابن عون: وأظنه قال نعم. قال: فأمرني بفدية من صيام أو صدقة، أو نسك ما تيسر.

٤- تقليم الأظفار: أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من أخذ أظفاره، وعليه الفدية بأخذها في قول أكثر أهل العلم.

٥- الصيد:

أجمعت الأمة على تحريم الصيد في الإحرام، فلا يجوز للمحرم أن يتعرض لصيد البر المأكول، وغير المأكول، وهو الحيوان المباح المتوحش، الممتنع من الناس في أصل الخلقة.

ولا بأس بقتل الحية والعقرب والفأرة والكلب العقور والغراب، لإباحة الرسول ﷺ قتلها في الحل والحرم.

فأجمع أهل العلم على وجوب الجزاء- الفدية- على المحرم إذا قتل الصيد لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥].

والصيد الذي يجب بقتله الفدية على قاتله هو ما جمع ثلاثة أوصاف هي:

- أن يكون مباحًا أكله، لا مالك له، وحشيًا ممتنعًا.

والفدية: إذا كان الصيد دابة، هو مثل ما قتل من النعم.

وإذا كان الصيد طائرًا فالجزاء فيه يكون بقيمته في موضعه الذي قتله فيه وما لا مثل له من الصيد يخير قاتله بين أن يشتري بقيمته طعامًا فيطعمه للمساكين، وبين أن يصوم.

٦- عقد النكاح ممنوع على المحرم والمحرمة لم يجب بذلك فدية، وبهذا صرح الحنابلة.

وقد حرم الله تعالى على من فرض الحج في أشهره الرفث والفسوق والجدال في الحج.

ومع بقية الذبائح في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

الحج مدرسة تربوية

إعداد/ محمد عاطف التاجوري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد خرجنا من مدرسة رمضان التربوية، والتي درسنا فيها كثيرًا من الأخلاق، واليوم ندخل مدرسة أخرى من المدارس التربوية، لنتعرف على بعض الأخلاق فيها، ونربي أنفسنا عليها، تلك هي مدرسة الحج التربوية.

١- الإخلاص:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٦-٢٩].

فانظر كيف بدأ إبراهيم عليه السلام عمله كما أمره الله عز وجل بترك الشرك بالله أي أمره بإخلاص العمل لله تعالى، وكذلك أول ما حرص عليه رسول الله ﷺ في هذا النسك هو الإخلاص، ففي حديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم: «فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك»، فكل عمل لا بد أن يبنى على الإخلاص حتى يقبله الله تعالى، فما لم يبن على الإخلاص لا يقبل، وهو أول ما يعلن عنه الحاج: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك».

٢- الطهارة:

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، فما المقصود بالطهارة هنا؟ هل هي طهارة الظاهر فقط؟

يقول ابن كثير في تفسيره: «وطهر بيتي» قال قتادة ومجاهد من الشرك.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

الطهارة أنواع:

١- منها الطهارة من الكفر والفسوق، كما يراد بالنجاسة ضد ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

٢- ومنها: الطهارة من الحدث وضد هذه نجاسة الحدث.

٣- ومنها: الطهارة من الأعيان الخبيثة التي هي نجسة. [مجموع الفتاوى ٢١/٦٧، ٦٨].

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى:

المراد من قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، الآية تعم كل ما ذكره ابن تيمية سابقًا، إن كان المراد طهارة القلب، فطهارة الثوب وطيب مكسبه تكميل لذلك، فإن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرم ما حرم من اللباس، لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات التي تلبس جلودها، فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن. [إغاثة اللهفان ١/٦٩].

٣- الاستجابة:

أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بدعوة الناس إلى الحج، فقال له: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، فاستجاب إبراهيم عليه السلام لأمر

الله تبارك وتعالى واستجاب الناس لدعوة إبراهيم عليه السلام وما يزالون يستجيبون حتى الآن.

يقول الله تبارك وتعالى عن هذا الخلق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال البخاري: «استجيبوا» أجيبوا «لما يحييكم» لما يصلحكم.

وروي عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيته، فقال: «ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟» ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج» فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرتُ له..(الحديث).

وقال معاذ: حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن سمع حفصًا سمع أبو سعيد رجلاً من أصحاب النبي ﷺ بهذا وقال: «هي الحمد لله رب العالمين، السبع المثاني». [البخاري ٤٦٤٧ كتاب التفسير]

٤- الإنفاق في سبيل الله:

والمسلم الذي يأتي إلى الحج من كل فج عميق راكبًا أو ماشيًا؛ ماذا يتكلف وما الذي يدفعه إلى هذا الإنفاق في سبيل الله تعالى من أجل الحج إلى بيت الله عز وجل؟ ثم يجد التوجيهات الكثيرة التي تدفعه للإنفاق: منها الأمر بذبح الهدي للقارن والمتمتع وكذلك في الفدية لجبر القصور الحاصل في أداء المناسك فضلاً عن توزيع تلك الذبائح؛ قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٨]، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج:٣٦].

٥- الهداية:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة:١٩٨].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧].

فمناسك الحج مظهر من مظاهر شكر الله تبارك وتعالى على هدايته، فربنا هو الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ويزداد الشعور بنعمة الهداية عندما يتذكر الإنسان ما كان فيه من ضلال.

٦- الإحسان:

وفي آية سورة الحج: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، وفي سورة البقرة: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

ومرتبة الإحسان هي أعلى مراتب الإيمان، كما قال الرسول ﷺ عنها في حديث جبريل المتفق عليه: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات وتنتهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء.

ويقول الرسول ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته». [رواه مسلم ١٩٥٥]

٧- الوفاء:

يرشدنا الله تبارك وتعالى إلى الوفاء في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

والوفاء لغة يعني الإكمال والإتمام وضده الغدر. [لسان العرب]

وقد أمرنا الله تعالى بالوفاء في كل أمورنا فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠]،

وقال: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل:٩١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

٨- التقوى:

يقول الله تعالى في سياق الحديث عن الحج من سورة البقرة: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ويقول: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣].

ويقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، ويقول: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ويقول: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكم﴾ [الحج: ٣٧].

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما قال: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدًا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر أنه خير من هذا وأنفع.

٩- الذكر والدعاء والاستغفار:

يقول الله تعالى مرشدًا لنا إلى الإكثار من ذكره: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

ويرشدنا أيضًا إلى آداب الدعاء؛ فلا ينبغي أن يدعو الداعي بأمور دنياه فقط وهو معرض عن أخراه: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠- ٢٠٢].

ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء؛ فقد روى البخاري عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». وقال أحمد: عن عبد العزيز بن صهيب قال: سأل قتادة أنسًا أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي ﷺ؟ قال: كان يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها. رواه مسلم. [ابن كثير ج١ ص٢٤٥].

١٠- تعظيم حرمات الله:

يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما أنه على فعل الطاعات ثواب كبير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات، قال ابن جريج قال مجاهد في قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ قال: الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى عنه من معاصيه كلها. وكذا قال ابن زيد.

١١- تعظيم شعائر الله:

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

يقول ابن كثير: يقول تعالى هذا ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ أي أوامره، ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، ومن ذلك تعظيم الهدايا (الهَدْي في الحج) والبدن (وهي الإبل التي تذبح في الحج وواحدتها بَدَنَة).

وبعد، فهذه أمثلة فقط لدروس هذه المدرسة، مدرسة الحج التربوية، والحمد لله رب العالمين.



أفضل أيام الدنيا

إعداد/ التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه من فضل الله ومنته أن جعل لعباده الصالحين، مواسم يستكثرون فيها من العمل الصالح وأمد في أجالهم فهم بين غاد لخير ورائح.

فحري بالمسلم أن يستقبل مواسم الخير عامة:

١- بالتوبة الصادقة النصوح وبالإقلاع عن الذنوب والمعاصي لينال المغفرة والرحمة، فإن الذنوب هي التي تحرم الإنسان فضل ربه وتحجب قلبه عن مولاه، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه». متفق عليه.

٢- بالعزم الصادق الجاد على اغتنامها بما يرضي الله عز وجل، فمن صدق الله صدقه الله، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

ومن أعظم هذه المواسم وأجلها أيام عشر ذي الحجة.

وقد ورد في فضلها أدلة من الكتاب والسنة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ١، ٢]، قال ابن كثير رحمه الله: المراد بها عشر ذي الحجة.

٢- قال تعالى: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ قال ابن عباس: أيام العشر.

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر» يعني الأيام العشر. قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء. [الترمذي (٧٥٧)]

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أعظم وأحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد». [مسند احمد (١٣٢)]

٥- كان سعيد بن جبير رحمه الله إذا دخلت العشر اجتهد اجتهادًا حتى ما يكاد يقدر عليه.

٦- قال ابن حجر في الفتح: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يأتي ذلك غيرها. [فتح الباري ٢/٥٣٤]

٧- قال المحققون من أهل العلم: أيام عشر ذي الحجة أفضل الأيام، وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل الليالي.

الأعمال المستحبة في هذه الأيام

١- أداء الحج والعمرة وهو أفضل ما يعمل، ويدل على فضله عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [البخاري] وغيره من الأحاديث الصحيحة.

٢- الصلاة والإكثار من النوافل فإنها من أفضل القربات، عن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة». [مسند احمد وصححه الالباني في الجامع الصغير] وهذا عام في كل وقت.

٣- الصيام: لدخوله في الأعمال الصالحة فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر». [المسند وابو داود وصححه الالباني] وقال الإمام النووي عن صوم الأيام العشر أنه مستحب استحبابًا شديدًا وصيام هذه الأيام أو ما تيسر منها وبالأخص يوم عرفة، ولا شك أن جنس الصيام من أفضل الأعمال وهو مما اصطفاه الله لنفسه كما في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته (أكله وشربه) من أجلي». [البخاري] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا». [مسلم] أي مسيرة سبعين عامًا.

٤- صيام يوم عرفة: يتأكد صوم يوم عرفة لغير الحاج لما ثبت عنه ﷺ ما رواه مسلم عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده».

٥- الإكثار من الذكر والدعاء يوم عرفة:

قال النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

شيء قدير». [الترمذي وصححه الألباني] قال ابن عبد البر: هذا دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب في الأغلب. [التمهيد (٢١/٦)]

٦- التكبير والتهليل والتحميد:

لما ورد في حديث ابن عمر السابق «فأكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد» وقال الإمام البخاري: «كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما» . [البخاري] وقال أيضًا: «كان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرًا». وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه، والمستحب الجهر بالتكبير لفعل عمر وابنه وأبي هريرة، فحري بنا نحن المسلمين أن نحيي هذه السنة التي هجرت في هذه الأيام وتكاد تنسى حتى من أهل الصلاح والخير بخلاف ما كان عليه السلف الصالح.

٧- فضل يوم النحر:

يغفل عن ذلك اليوم العظيم كثير من المسلمين، مع أن بعض العلماء يرى أنه أفضل أيام السنة على الإطلاق حتى من يوم عرفة، قال ابن القيم: «خير الأيام عند الله يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر». كما في سنن أبي داود عنه ﷺ: «إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر». ويوم القر هو يوم الاستقرار في منى وهو يوم الحادي عشر، وقيل يوم عرفة أفضل منه لأن صيامه يكفر سنتين، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة لأنه سبحانه وتعالى يدنو فيه من عباده ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف. [كما في حديث مسلم]

وسواء كان هو أفضل أمْ يوم عرفة فليحرص المسلم حاجًا كان أم مقيمًا على إدراك فضله.

وفي العموم فكثرة الأعمال الصالحة من نوافل العبادات كالصلاة والصدقة والجهاد والقراءة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام، فالعمل فيها إن كان مفضولاً فإنه أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيرها وإن كان فاضلاً، حتى الجهاد الذي هو من أفضل الأعمال، إلا من عقر جواده وأهريق دمه.

أحكام عيد الأضحى المبارك

أعلام الدين الظاهر شعائر الإسلام، فعليك أخي بالعناية بها وتعظيمها لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

وإليك وقفات سريعة مع آداب وأحكام العيد:

١- التكبير: يشرع التكبير من فجر عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾، وصفته أن تقول: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد». وهناك صيغ أخرى واردة عن الصحابة والتابعين. [فتح الباري ٥٣٦/٢] ويسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت وأدبار الصلوات تعظيما لله وإظهارًا لعبادته وشكره.

٢- الاغتسال والتطيب للرجال ولبس أحسن الثياب بدون إسراف ولا إسبال ولا حلق لحية، فهذا حرام، أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلى العيد دون تبرج ولا تطيب.

٣- الذهاب إلى مصلى العيد ماشيًا إن تيسر: والسنة الصلاة في مصلى العيد إلا إذا كان هناك عذر مثل مطر- مثلاً- فيصلى في المسجد لفعل النبي ﷺ.

٤- الصلاة مع المسلمين واستحباب حضور الخطبة: والذي رجحه المحققون من العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية أن صلاة العيد واجبة لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، ولا تسقط إلا بعذر شرعي والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحائض وتعتزل الحائض المصلى.

٥- مخالفة الطريق: يستحب لك أن تذهب إلى مصلى العيد من طريق وترجع من طريق آخر لفعل النبي ﷺ.

٦- التهنئة بالعيد: مثل قول: تقبل الله منا ومنكم.

٧- ذبح الأضحية: ويكون ذلك بعد صلاة العيد لقول رسول الله ﷺ: «من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح». [البخاري] ووقت الذبح أربعة أيام العيد (يوم النحر) وثلاثة أيام التشريق، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «كل أيام التشريق ذبح». [السلسلة الصحيحة: ٢٤٧٦]

واحذر أخي المسلم الوقوع في بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس منها:

١- أخذ شيء من الشعر أو تقليم الأظفار قبل أن تضحي لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

٢- اللهو أيام العيد بالمحرمات كسماع الأغاني ومشاهدة الأفلام واختلاط الرجال بالنساء اللاتي لسن من المحارم، وغير ذلك من المنكرات.

٣- الإسراف والتبذير بما لا طائل تحته ولا مصلحة فيه ولا فائدة منه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

فيا أخي المسلم احرص على اغتنام هذه الأوقات قبل أن تفوت عليك فتندم، فإن الدنيا أيام قلائل ونحن في دار العمل وغدًا دار الجزاء والحساب والجنة والنار، وكن من الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

سنة مهجورة
ترك الأظفار وشعر الرأس في عشر ذي الحجة لمن أراد أن يضحي

يتساءل الكثيرون عن حكم ترك الشعر والظفر في عشر ذي الحجة هل هو واجب أم هو سنة أم أن الأمر على الإباحة وهو واسع؟

روى مسلم في الصحيح كتاب الأضاحي باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئًا.

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلت العشر، وأراد أحدكم أن يُضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئًا». وفي رواية سعيد بن المسيب عن أم سلمة ترفعه قال: «إذا دخل العشر وعنده أضحية يريد أن يضحي فلا يأخذن شعرًا ولا يقلمن ظفرًا».

وفي رواية أخرى عن سعيد عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره». وفي رواية رابعة عن سعيد قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ذبح يذبحه، فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئًا حتى يضحي».

وفي رواية خامسة عن عمرو بن مسلم بن عمار الليثي قال: كنا في الحمام قبيل الأضحى فاطّلى فيه ناس، فقال بعض أهل الحمام: إن سعيد بن المسيب يكره هذا أو ينهى عنه فلقيت سعيد بن المسيب فذكرت ذلك له، فقال: هذا حديث قد نُسي وتُرك، حدثتني أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ، وذكر الحديث.

والحديث في رواياته كلها يدور على سعيد بن المسيب عن أم سلمة رضي الله عنها.

وكان سفيان يرفعه إلى النبي ﷺ كما صرح بذلك مسلم رحمه الله عز وجل، وقد نقلت رواياته كلها كما جمعها في هذا الباب، والحديث رواه الترمذي في سننه في كتاب الأضاحي باب ترك أخذ الشعر لمن أراد أن يضحي وهو آخر أبواب الكتاب عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «من رأى هلال ذي الحجة، وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره» [ح رقم ١٥٢٣]. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح]

وهو قول بعض أهل العلم، وبه كان يقول سعيد بن المسيب، وإلى هذا الحديث ذهب أحمد وإسحاق.

ورخص بعض أهل العلم في ذلك فقالوا لا بأس أن يأخذ من شعره وأظفاره، وهو قول الشافعي، واحتج بحديث عائشة أن النبي ﷺ كان يبعث بالهدي من المدينة فلا يجتنب شيئًا مما يجتنب منه المحرم. اهـ. والحديث رواه أحمد وأصحاب السنن.

قال النووي: واختلف العلماء فيمن دخلت عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي.

فقال سعيد بن المسيب وربيعة وأحمد وإسحاق وداود وبعض أصحاب الشافعي: إنه يحرم عليه أخذ شيء من شعره وأظفاره حتى يضحي في وقت الأضحية.

وقال الشافعي وأصحابه: هو مكروه كراهة تنزيه وليس بحرام.

وقال أبو حنيفة: ولا يكره، وعن مالك روايتان. واحتج من حرم بهذه الأحاديث.

واحتج الشافعي والآخرون بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أقلد قلائد هدي رسول الله ﷺ ثم يقلده ويبعث به ولا يحرُم عليه شيء أحله الله حتى ينحر هديه». [متفق عليه]

ولا أعلم أحدًا من أهل العلم قد نفى هذه السنة، أو زعم أن فاعل ذلك الأمر مبتدعًا، بل كلهم متفقون على استحباب ترك الشعر والظفر حتى تذبح الأضحية، وغاية ما في الأمر أن بعض أهل العلم رأى هذا واجبًا، وحمل النهي عن حلق الرأس وقص الظفر لمن أراد أن يضحي على ظاهره وهو التحريم لأنه لم تثبت لديه قرينة تصرف النهي عن ظاهره وهو التحريم إلى الكراهية بينما وجد الشافعي في حديث عائشة المذكور في كلام الترمذي والنووي وما تضمنه من فعل النبي ﷺ صارفًا للنهي عن دلالته الظاهرة وهي التحريم إلى الكراهية.

ويؤيد هذا قول ابن عمر: ليس حلاق الشعر بواجب على من ضحى، وإن كان هذا القول ينفي مجرد إيجاب الحلق على من ضحى.... ذبح الأضحية، وحديث أم سلمة في نهي من أراد أن يضحي أن يأخذ من شعره، وظفره قبل ذبح الأضحية، فكلام ابن عمر في عدم إيجاب الحلق على من ضحى لا يعارض حديث أم سلمة في النهي عن الحلق قبل التضحية، لأن هذا النهي لا يعني بالضرورة وحديث الحلق بعد ذبح الأضحية.

والسنة في ترك حلق شعر الرأس وقص الظفر حتى يذبح الأضحية هذا في حق من أراد أن يضحي، ودخل عليه عشر ذي الحجة فلتحقق هذا الحكم شرطان:

الأول: إرادة التضحية، سواء كانت الأضحية عنده أم لا، حتى ولو اشتراها بعد ذلك.

الثاني: دخول عشر ذي الحجة، ويتحقق برؤية هلال شهر ذي الحجة، أو العلم به.

ويشترط بعض الناس أن يكون قد حصل الأضحية وصارت عنده، ولا دليل على ذلك.

وفي حلق الشعر وقص الأظفار بعد ذبح الأضحية معنى عظيم، فقد أبقى عليها ليشملهما ثواب العتق من النار، ولهذا قالوا: يبقى كامل الأجزاء ليُعتق كله من النار، ويميط عن نفسه الذنوب والخطايا وفيه معنى التشبه بالمحرم، لا يتحلل إلا بعد ذبح الهدي.

والحمد لله رب العالمين.

حرمة مكة والبيت الحرام

الحمد لله القائل: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والقائل: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، والصلاة والسلام على المبعوث بالدين القويم، والخلق العظيم، الموعود يوم القيامة مقامًا محمودًا، وحوضًا موردًا، وشرفًا مشهودًا، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، ومن اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله تعالى، خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على كبريائه ليهابوه، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليسارعوا إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه.

إن المتأمل لأحوال الناس اليوم، يجد أن البعض منهم، عمدوا إلى محارم الله فارتكبوها، ومنهياته فاستباحوها، ومأموراته فاجتنبوها ونبذوها، وقطعوا الأسباب بينهم وبين خالقهم ورازقهم، وعادوا بمر الشكوى من تغير الأحوال والأزمان، وانتزاع البركة من الأرزاق والآجال، وهم مع ذلك معتمدون على رحمة الله وعفوه وكرمه، ونسوا أن الله تعالى يغار على أوامره أن تجتنب، ومحارمه أن ترتكب، وأنه تعالى شديد العقاب لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، توعد عباده الذين يخالفون أمره، ويعرضون عن مراقبته وينصرفون عن عبادته وذكره ويجترئون على معاصيه، بشديد غضبه وعظيم سخطه، وحذرهم بأسه وانتقامه.

إن التعدي على حدود الله وانتهاك حرماته من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وهي تورث الذل والهوان على الله أولاً، ثم على الخلق ثانيًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤]، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧]، قال ابن الأثير رحمه الله: الانتهاك: المبالغة في خرق محارم الشرع وإتيانها، قال ابن القيم رحمه الله محذرًا من انتهاك حرمات الله: لم يقدر الله حق قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقه فضيَّعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهم من طاعته، فلله الفضلة من قلبه وقوله وعمله، هواه مقدم في ذلك كله، المهم أنه يستخف بنظر الله إليه، وإطلاعه عليه، وهو في قبضته، وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق إليه، وإطلاعه عليه، بكل قلبه وجوارحه، يستحي من الناس ولا يستحي من الله، ويخشى الناس ولا يخشى الله، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره، وإن قام في خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة وقد أفرغ له قلبه وجوارحه، وقدمه على كثير من مصالحه حتى إذا قام في حق ربه قام قيامًا لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله، وبذل له من ماله ما يستحي أن يواجه به مخلوقًا مثله. فهل قدَرَ الله حق قدره من هذا وصفه، وهل قدَره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والرجاء.

[الداء والدواء (ص١٦٧، ١٦٨)]

ومن صور انتهاك حرمات الدين:

١- القتل بغير حق، وترويع الآمنين:

إن القتل من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب وأشد الآثام، بل هو أغلظها جميعًا بعد الإشراك بالله ولذا نهى الله عز وجل عن القتل بغير حق وترويع الآمنين، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، وقال سبحانه:

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء:٣٣].

وقال سبحانه: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢].

إن جريمة القتل تعد مروعةً لأمن الحياة واستقرارها، وهدمًا لعمارة الكون.

ولقد جاء في السنة المباركة كثير من الأحاديث التي تنهى عن القتل وتحرمه وتجرمه، وتنهى عن ترويع الآمنين وإخافتهم وإدخال الذعر والهلع إلى قلوبهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَّلِبُ دم امرئ بغير حقٍّ ليهريق دمه». رواه البخاري، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء».

[رواه البخاري]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا». [رواه البخاري]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا». رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني، ولست منه».

[رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». [رواه البخاري ومسلم]

٢- الإلحاد في الحرم والظلم فيه:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإلحاد أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك، من قتل من لم يقتل وظلم من لم يظلم. وقال النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قال: ومن يرد فيه مرادًا ما، جائرًا عادلاً عن القصد ظالمًا فتدل هذه الآية على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه بمكة وإن لم يعمله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا: لو هم رجل بقتل رجل وهو في هذا البيت- يعني البيت الحرام- وهو بعدن أبين- مكان بأقصى اليمن- لعذبه الله.

قال النيسابوري: وهذا الإلحاد والظلم يجمع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله سبحانه على النية السيئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة.

[انظر تفسير الطبري (١٧- ١٠٤)، وتفسير القرطبي (١٢- ٢٤)]

ومن الأحاديث التي تنهى عن الإلحاد في الحرم وغيره من الأراضي المقدسة قوله ﷺ: «ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي كان: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي».

[رواه الطبراني وهو حديث حسن]

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا». قال ثوبان: يا رسول الله، جلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها».

[رواه ابن ماجه وإسناده صحيح]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرام، ومبتغٍ في الإسلام سُنَّة الجاهلية، ومُطَّلِبُ دم امرئ بغير حق ليهريق دمه». [رواه البخاري]

وعن أبي شريح العدوي رضي الله عنه أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ

للغد من يوم فتح مكة فسمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرا، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسول الله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب». [رواه البخاري ومسلم]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أي شهر تعلمون أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإن الله- تبارك وتعالى- قد حرَّم دماءكم وأخوالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت ثلاثًا؟ كل ذلك يجيبونه: ألا نعم». قال: ويحكم أو ويلكم لا ترجعُنَّ بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض».

[رواه البخاري ومسلم]

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يُقبل منه صرف ولا عدل». [رواه الطبراني بإسناد جيد]

عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح». [رواه مسلم]

٣- ترويع الآمنين وتخويف المسالمين:

إن الأمن نعمة عظيمة امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش:٣-٤].

إن الأمن لا يتحقق ولن يتحقق إلا بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨٨].

وقال الشاعر:

إذا الإيمان ضاع فلا أمانا
ولا دنيا لمن لم يحيي دينه
ومن رضي الحياة بغير دين
فقد جعل الفناء لها قرينا

لقد رهب رسول الله ﷺ وحذر وأنذر من ترويع الآمنين فقال ﷺ: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلام فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار». [رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه». [رواه مسلم]

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُتعاطى السيف مسلولاً».


[رواه الترمذي وقال: حديث حسن]

فعلى كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة أن يعظم حرمات الله، وتعظيم الحرمات هو العلم بوجوبها والقيام بحقوقها، وقيل تعظيم الحرمات يعني اجتناب المرء ما أمر الله باجتنابه في حال حله وإحرامه تعظيمًا منه لحدود الله أن يواقعها، وحُرمة أن يستحلها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يومًا بعد أن نظر إلى الكعبة: ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمنون عند الله أعظم حرمة منك.

قال ابن الجوزي رحمه الله: بقدر إجلال العبد لله يجله الله عز وجل وبقدر تعظيمه قدره واحترامه يعظم قدر العبد وحرمتُه، وكم من رجل أنفق عمره في العلم حتى كبرت سنة ثم تعدى الحدود فهان عند الخلق ولم يلتفقوا إليه غزارة علمه، وأما من راقب الله عز وجل في صبوته فقد يكون قاصر الباع بالنسبة المصادف الأول، ومع ذلك عظَّم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير. [انظر صيد الخاطر لابن الجوزي ص٤٩١]

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنب هذه البلاد خاصة وبلاد المسلمين عامة كل سوء ومكروه، وأن يحفظ جميع بلاد المسلمين أمنها واستقرارها، وأن يحفظها من كيد الكائدين وعبث العابثين، وأن يصلح شباب المسلمين، وأن يرد العاصين منهم ردًا جميلاً، وأن يهديهم سُبُل الرشاد، إنه أعظم مسئول وأكرم مأمول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، معلم التوحيد، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاهم، وبعد..

١.كان النبي ﷺ يعلم أصحابه الأدب مع الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال». [صحيح مسلم ج٣ ص١٣٤٠]

وعنه أيضا أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي ولدا!! وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: ليس يعيدني كما بدأني!! وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته.

[صحيح، انظر حديث رقم:٤٣٢٣ في صحيح الجامع]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».

[صحيح، انظر حديث رقم ٤٣٤٣ في صحيح الجامع]

عن عائشة أن النبي ﷺ رأى بصاقًا في جدار القبلة أو مخاطًا أو نخامة فحكه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس فقال: «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه؟ أيحب أحدكم أن يُستقبل فيُنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليقل هكذا» فتفل في ثوبه ثم مسح بعضه على بعض.

[صحيح مسلم ج١ ح/٣٨٩]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعجبه العراجين (والعراجين جمع عرجون وهو عذق البلح) أن يمسكها بيده فدخل المسجد ذات يوم وفي يده واحد منها (أي من العراجين) فرأى نخامات في قبلة المسجد فحتهن حتى أنقاهن ثم أقبل على الناس مغضبًا فقال: «أيحب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه؟ إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه، والمَلَكُ عن يمينه فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه وليبصق تحت قدمه اليسرى أو عن يساره، فإن عجلت به بادرة فليقل هكذا في طرف ثوبه» ورد بعضه في بعض.

[صحيح ابن خزيمة ج٢ ح/٤٦]

ولتعظيم أمر الأدب مع الله سبحانه وتعالى حال الوقوف بين يديه، عاقب النبي ﷺ رجلا كان إمامًا يصلي بالناس بحرمانه من الإمامة مرة أخرى، بسبب

أنه بصق في القبلة وهو يؤم الناس ورسول الله ﷺ ينظر فقال ﷺ حين فرغ: «لا يصلي لكم» فأراد بعد ذلك أن يصلي لهم فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله ﷺ فذكر رسول الله ﷺ فقال (نعم) وحسبتُ أنه قال: «إنك آذيت الله ورسوله».

[سنن أبي داود ٤٨١ وحسنه الألباني]

ومن الأدب ألا يعرضوا اسم الله لليمين الكاذبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك! فيرد عليه جل وعلا لا يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا».

[صحيح، انظر حديث رقم ١٧١٤ في صحيح الجامع]

عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»، قال: فقال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك بينة؟» قال: قلت: لا، قال: فقال لليهودي: احلف» قال: قلت: يا رسول الله، إذن يحلف ويذهب بمالي، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:٧٧]». [صحيح البخاري ج٢ ح٢٣٥٦]

مؤمنة في بيت فرعون

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». [متفق عليه]

قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم:١١]، وكذلك مريم بنت عمران؛ ترغيبًا في التمسك بالطاعة والثبات على الدين. وقيل هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، أي لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون، وكانت آسية آمنت بموسى، وقيل هي عمة موسى آمنت به.

قال أبو العالية اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد ربًا غيري، فقالوا له: اقتلها، فأوتد لها أوتادا وشد يديها ورجليها، فقالت: رب ابن لي عندك بيتا في الجنة، ووافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها؟ إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض روحها. وقال فيما روى عنه عثمان النهدي: كانت تعذب بالشمس فإذا آذاها حر الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها، وقيل سمر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رحى، فأطلعها الله حتى رأت مكانها في الجنة يُبْنى... ولما قالت: ونجني نجاها الله أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم، ومعنى ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ تعني بعمله الكفر، وقيل من عمله: من عذابه وظلمه وشماتته، وقال ابن عباس: الجماع. ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أهل مصر، قال مقاتل: القبط. قال الحسن وابن كيسان: نجاها الله أكرم نجاة ورفعها إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب.

[تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٠٣]

وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت، إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فاستجاب الله لها فبنى لها بيتًا في الجنة.

قال القاسم بن أبي بزة: كانت امرأة فرعون تسأل مَن غلبَ؟ فيقال غلب موسى وهارون، فتقول: آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في السماء فمضت على قولها فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح... قوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾ وكان أعتى أهل الأرض على الله وأبعده من الله، فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها لتعلموا أن الله حكم عدل لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه، وقوله: ﴿ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ تقول: وأنقذني من عذاب فرعون ومن أن أعمل عمله. وذلك كفره بالله. [تفسير الطبري ج٢٨ ص١٧١]

طفلنا المسلم

إن من الأطفال من آتاه الله سبحانه هبة الحلم والتؤدة والهدوء بحيث تراه - على صغره - يسأل ويستفسر ويتعلم، وينتقد ويراجع وهذا

بلا شك شجاعة وثبات نود أن نراه في أولادنا بنين وبنات.

تعال معي طفلنا المسلم لنرى:

أبناء السلف والحوار الهادئ من أجل التعليم

لقد تربى أبناء السلف على الصفات الحميدة؛ فكلامهم هادف، ونقدهم بناء، وسؤالهم بريء.

فعن أبي بردة بن أبي موسى قال: شهدت أبا موسى وهو في بيت أم الفضل، فعطستْ فشمتها، وعطستُ فلم يشمتني، فلما جئت إلى أمي أخبرتها، فلما جاءها أبو موسى قالت له: عطس عندك ابني فلم تشمته، وعطستْ امرأة فَشَمَّتُّها، فقال: إن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وأنها عطست فحمدت الله فشمتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه». قالت: أحسنت.

[أخرجه الحاكم (٧٦٩٠/٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد]

وعن مصعب بن سعد قال: كان أبي إذا صلى في المسجد تجوَّز وأتم الركوع والسجود، وإذا صلى في البيت أطال الركوع والسجود والصلاة. قلت: يا أبتاه، إذا صليت في المسجد جَوَّزْتَ، وإذا صليت في البيت أطلت، قال: يا بني، إنا أئمة يقتدى بنا. [رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢/١)]

أبناء السلف وصحبة الأخيار وحضور مجالس الكبار

إن من أهم الأمور وأوكدها في بناء الطفل المسلم، وتنشئته النشأة الصحيحة؛ أن يجنب رفاق السوء ويبعد عن صحبة الأشرار، وينشأ على صحبة الأخيار، ومجالسة الكبار، الذين يفيدونه علمًا وخبرة، وأدبًا وتجربة، فربما كان الغلام ذا موهبة من الله في علمه وعقله؛ فسبق بذلك من رافقوه، ولحق من سبقوه، وأفاد من جالسوه، فسَعِد وسعد معه أبوه ومُرَبُّوه.

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:١-٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا ابن عباس، كذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ، علمه الله إذا جاء نصر الله والفتح - فتح مكة -، فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

[الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦١٧/١٠)]

وكذلك ابن عمر رضي الله عنهما كان حاضرًا في مجلس لرسول الله ﷺ به شيوخ، وكان منتبهًا لما يدور في المجلس؛ يقول: قال النبي ﷺ: «مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات». فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، فأردت أن أقول هي النخلة وأنا غلام شاب، فاستحييت فقال: «هي النخلة».

[البخاري (٥٧٧١/٥)، ومسلم وغيرهما]

بل إن النبي ﷺ نفسه يحدث عن حضوره مجالس الكبار وهو غلام فيقول: «شهدت وأنا غلام حلفًا مع عمومتي المطيبين، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه». [أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩١٨/٣) عن عبد الرحمن بن عوف، وأبو يعلى عن ابن عباس، وأحمد، وهو صحيح]

أبناء السلف يكرمون العلماء؛ أدبًا وتوقيرًا وحياءً

إذا كانت صحبة الصغار للعلماء وللكبار؛ فقد صح الاختيار، ولكن للعلماء وللكبار حقوق على الصغار، منها: التأدب معهم واحترامهم وتوقيرهم والحياء عندهم، وعدم التقدم في الكلام عليهم. يظهر ذلك في سلوك هذا الشاب الصغير الذي تربى على هذه الفضائل..

قال سمرة بن جندب: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالا هم أسن مني، وقد صليت وراء رسول الله ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها، فقام عليها رسول الله ﷺ في الصلاة وسطها. [مسلم (٩٦٤/٢)] فانظر أخي إلى الاحترام والأدب.

وهذا ابن عمر يقول: قال النبي ﷺ: «مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات». فقال القوم: هي شجرة كذا هي شجرة كذا، فأردت أن أقول هي النخلة وأنا غلام شاب، فاستحييت، فقال: «هي النخلة». فالذي منعهم من الحديث حياؤهم ممن هم أكبر منهم.

والحمد لله رب العالمين



تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة درع علي بن أبي طالب مع الذمي

الحلقة الخامسة والستون

إعداد

الشيخ/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص.

أولا: متن القصة

رُوي عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه، قال: وجد علي بن أبي طالب درعًا له عند يهودي التقطها فعرفها، فقال: درعي سقطت عن جمل لي أورق، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فأتوا شريحًا، فلما رأى عليًا قد أقبل تحرف عن موضعه وجلس عليٌ فيه ثم قال عليٌ: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تساووهم في المجلس وألجئوهم إلى أضيق الطرق، فإن سبوكم فاضربوهم؛ وإن ضربوكم فاقتلوهم»، ثم قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: درعي سقطت عن جمل أورق، والتقطها هذا اليهودي.

فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟

قال: درعي وفي يدي.

فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين أنها لدرعك، ولكن لابد من شاهدين.

فدعى قنبرا مولاه، والحسن بن علي وشهدا إنها لدرعه.

فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها.

فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»؟.

قال شريح: اللهم نعم.

قال علي: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ والله لأوجهنك إلى «بانقيا» تقضي بين أهلها أربعين يومًا، ثم قال لليهودي خذ درعك. فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين، فقضى عليه ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك سقطت عن جمل لك، التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فوهبها له علي، وأجازه بتسعمائة، وقتل معه يوم صفِّين.

ثانيا: التخريج

هذه القصة أخرجها أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني في «الحلية» (٤/١٣٩-١٤٠) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، ح. وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عون السيرافي المقري، قالا: حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا حكيم بن خذام أبو سمير حدثنا الأعمش عن إبراهيم بن

يزيد التيمي عن أبيه قال: فذكر القصة.
وأخرجها أيضا الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٣٨٨/٢) ح(١٤٦٠) قال: حدثت عن الحسن بن محمد بن حمويه الصفار، قال أخبرني أحمد بن علي بن فنجويه الأصبهاني، قال حدثنا أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ قال أخبرنا علي بن عبد الله بن مبشر الواسطي قال حدثنا أبو الأشعث يعني: أحمد بن المقدام، قال حدثنا أبو سمير حكيم بن خِذام به.

ثالثا: التحقيق

هذه القصة واهية وسندها ضعيف جدا وغريب

١ ـ قال الحافظ أبو نعيم بعد أن روى هذه القصة في «الحلية» (١٤٠/٤): «غريب من حديث الأعمش عن إبراهيم تفرد به حكيم».
قلت: وحكيم بن خِذام أبو سمير البصري هو علة هذه القصة.
٢ ـ قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١٨/١/٢) ترجمه (٧٤): «حكيم بن خذام أبو سمير: منكر الحديث» اهـ.
قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه حيث قال الحافظ السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١):
«البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق: (منكر الحديث): على من لا تحل الرواية عنه» اهـ.
٣ ـ قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١٢٨): «حكيم بن خذام، ضعيف».
٤ ـ قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠٢/١/٢) ترجمة (٨٨٢): «حكيم بن خذام أبو سمير سمعت أبي يقول: «هو متروك الحديث».
٥ ـ قال ابن عدي في «الكامل» (٢٢٠/٢) (٤٠٤/٣٥): «حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري قال: حكيم بن خذام أبو سمير البصري منكر الحديث».
٦ ـ قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٧/١): «حكيم بن خذام من أهل البصرة كنيته أبو سُمَيْر: يروي عن عبد الملك بن عمير والأعمش... في أحاديثه مناكير كثيرة».
٧ ـ قلت: لذلك أورد الإمام الذهبي هذه القصة في «الميزان» (٥٨٥/١) ترجمة (٢٢١٨) وجعلها من مناكير حكيم بن خذام.
٨ ـ وأورد هذه القصة الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤١٧/٢) (٢٩١٦/٧٥٥) ووافق الإمام الذهبي على جعل هذه القصة من مناكير حكيم بن خذام وهو منكر الحديث ثم نقل عن الساجي أنه قال: «حكيم بن خِذَام: يحدث بأحاديث بواطيل».
«تصحيف»
ملاحظة هامة: وقع تصحيف في «لسان الميزان» طبعة دار الفكر الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) وقالوا عنها: إنها طبعة جديدة منقحة ومقارنة» كما هو مبين في صدر الصفحة الأولى من كل جزء من أجزاء اللسان والتصحيف في «لسان الميزان» (٤١٧/٢) (٢٩١٦/٧٥٥) (حكيم بن حزام) هذا هو الإسم الموجود في اللسان فقد صحف (خِذام) بالخاء والذال إلى (حزام) بالحاء والزاي وهذا عند أهل الفن عظيم فسبحان ربي ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه:٥٢].
٩ ـ قال الإمام ابن الجوزي بعد أن روى هذه القصة في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٣٨٨/٢) ح(١٤٦٠): «هذا حديث لا يصح تفرد به أبو سمير قال البخاري وابن عدي: منكر الحديث، وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث» اهـ.

رابعا: طرق أخرى للقصة

وحتى لا يقال أن هناك طرقا أخرى للقصة فهذان طريقان أوردهما الإمام البيهقي في «السنن» (١٣٦/١٠) قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد، حدثنا أحمد بن علي الخزاز ثنا أسيد بن زيد الجمال، حدثنا عمرو بن شمر.
(ح أخبرنا) أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكى، أنبأنا أبو محمد بن الخرساني/ حدثنا محمد بن عبيد بن أبي هارون، حدثنا إبراهيم بن حبيب، حدثنا عمرو بن شمر.
عن جابر، عن الشعبي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق فإذا هو بنصراني يبيع درعا، فعرف علي رضي الله عنه الدرع فقال: هذه درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين وكان قاضي المسلمين شريح... ثم ذكر القصة بطولها مع النصراني.

خامسا: التحقيق

مما سبق يتبين أن الطريقين اللذين أخرجهما الإمام البيهقي يلتقيان عند عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي. حيث روى عن عمر وبن شمر:

(أسيد بن زيد الجمال وإبراهيم بن حبيب) والقصة من هذين الطريقين واهية وفيهما علتان:

الأولى: عمرو بن شَمِر الجُعْفِي.

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٢٦٨/٦٣٨٤) وقال:

١ - «عمرو بن شمر الجعفي الكوفي الشيعي أبو عبد الله عن جابر الجعفي... روى عباس عن يحيى: ليس بشيء.

٢ - وقال الجوزجاني: زائغ كذاب.

٣ - وقال ابن حبان: رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات.

٤ - وقال البخاري: منكر الحديث.

٥ - وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك.

العلة الأخرى: جابر بن يزيد الجعفي:

١ - قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٠٨).

جابر بن يزيد الجعفي من أهل الكوفة كنيته أبو زيد، وقد قيل: أبو محمد يروي عن الشعبي... كان سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول، إن عليًا يرجع إلى الدنيا.

٢ - قال الإمام النسائي في «المتروكين» ترجمة (٩٨):

«جابر بن يزيد الجعفي: متروك».

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام النسائي رحمه الله، قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» في بيان مراتب الجرح:

«ولهذا كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن طرق القصة بين كذابين ومتروكين.

وهذه الطرق لا تزيد القصة إلا وهنًا على وهن، حيث قال الإمام ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» ص(١٦):

«قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا لأن الضعف متفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين...» اهـ.

سادسا: الحافظ ابن حجر وتضعيف طرق القصة

أورد الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٤/١٩٣) ح(٢١٠٥) طرق القصة وبين ضعفها حيث قال:

«حديث علي: أنه جلس بجنب شريح في خصومة له مع يهودي، فقال: لو كان خصمي مسلما جلست معه بين يديك، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تساووهم في المجالس، أبو أحمد والحاكم في الكنى في ترجمة أبي سمير عن الأعمش عن إبراهيم التيمي قال: عرف علي درعًا له مع يهودي، فقال: يا يهودي، درعي سقطت مني، فذكره مطولاً، وقال: «منكر»، وأورده ابن الجوزي في «العلل» من هذا الوجه وقال: «لا يصح؛ تفرد به أبو سمير».

ورواه البيهقي من وجه آخر من طريق جابر عن الشعبي قال: خرج عليٌّ إلى السوق، فإذا هو بنصراني يبيع درعًا فعرف عليٌّ الدرع، فذكر بغير سياقه وفي رواية له: لولا أن خصمي نصراني، لجثيت بين يديك، وفيه عمرو بن شمر عن جابر الجعفي وهما ضعيفان.

وقال ابن الصلاح في الكلام على أحاديث الوسيط: «لم أجد له إسنادا يثبت». اهـ.

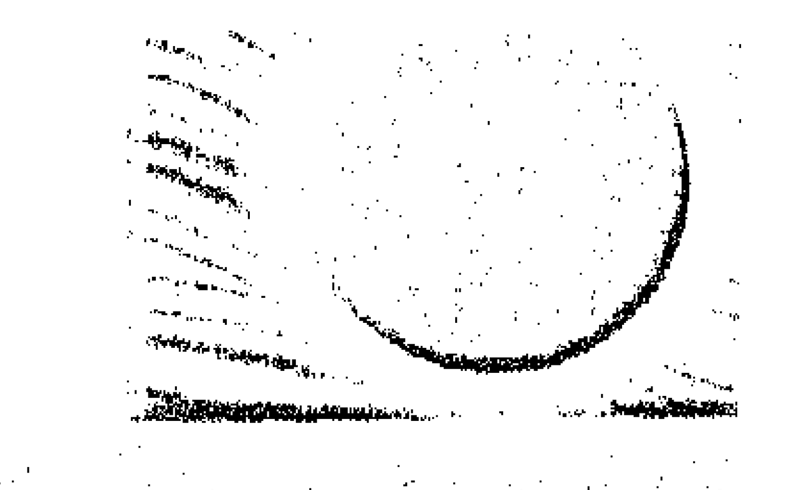
سابعا: التناقض

لقد بيَّنا من طرق هذه القصة الواهية أن أسانيدها تدور على الكذابين والمتروكين والمتن متناقض في تحديد ديانة الذمي بين نصراني ويهودي والقصة لا تثبت وعدالة الإسلام معلومة من غير هذه القصة الواهية.

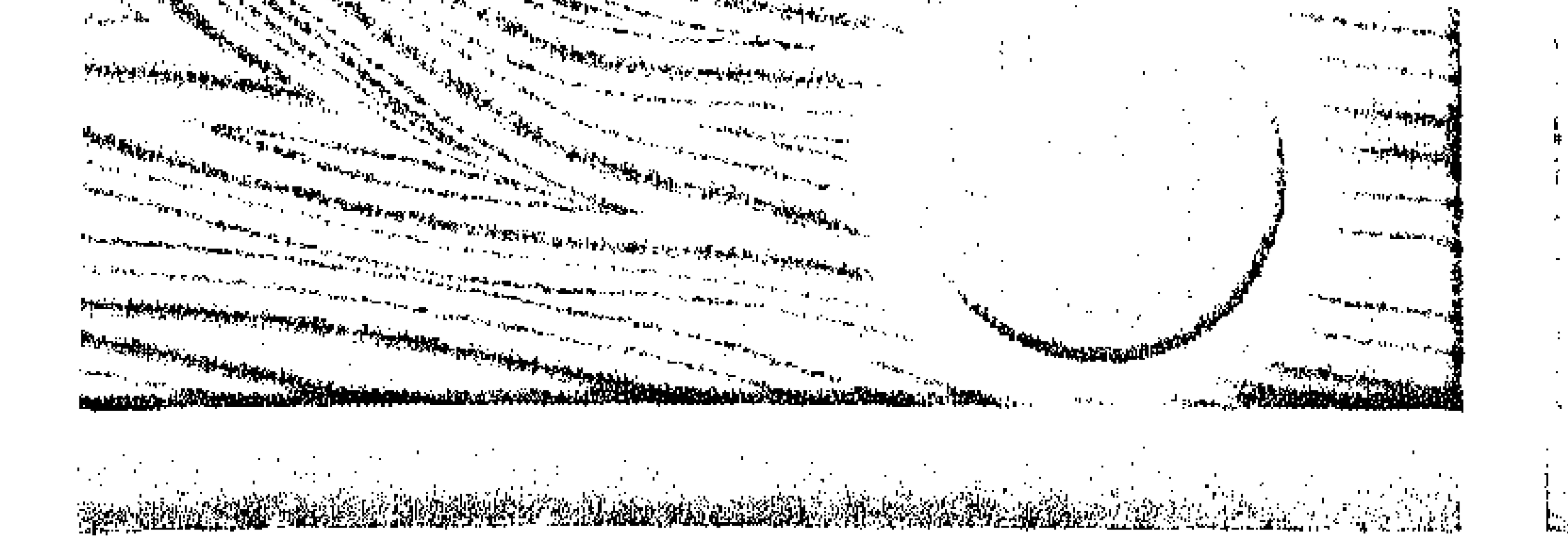
ثامنا: بدائل صحيحة

هناك العديد من الأحاديث والقصص الصحيحة التي يستشهد بها على عدل الإسلام وعدم تفريقه بين الغني والفقير، والشريف والضعيف وعلى سبيل المثال: «قصة المرأة المخزومية» التي أخرجها الإمامان البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أنَّ قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أنَّ فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها».

والله من وراء القصد.



الفتاوى



اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية

شروط فاسدة في البيع

س: ما حكم الشرع في كتابة عبارة: «البضاعة المباعة لا ترد ولا تستبدل» التي يكتبها بعض أصحاب المحلات التجارية على الفواتير الصادرة عنهم، وهل هذا الشرط جائز شرعًا، وما نصيحة سماحتكم حول هذا الموضوع؟

الجواب: بيع السلعة بشرط أن لا ترد ولا تستبدل لا يجوز؛ لأنه شرط غير صحيح؛ لما فيه من الضرر والتعمية، ولأن مقصود البائع بهذا الشرط إلزام المشتري بالبضاعة ولو كانت معيبة، واشتراطه هذا لا يبرئه من العيوب الموجودة في السلعة؛ لأنها إذا كانت معيبة فله استبدالها ببضاعة غير معيبة، أو أخذ المشتري أرش العيب. ولأن كامل الثمن مقابل السلعة الصحيحة، وأخذ البائع الثمن مع وجود عيب أخذ بغير حق، ولأن الشرع أقام الشرط العرفي كاللفظي، وذلك للسلامة من العيب حتى يسوغ له الرد بوجود العيب، تنزيلاً لاشتراط سلامة المبيع عرفًا منزلة اشتراطها لفظًا.

اختصار الصلاة على النبي ﷺ

س: هل يجوز كتابة حرف (ص) بدل ﷺ، ولماذا؟

الجواب: السنة أن تكتب جملة: «ﷺ» كاملة؛ لأنها دعاء والدعاء عبادة كالنطق بها، والرمز لها بحرف (ص)، أو (صلعم) ليس دعاء ولا عبادة، سواء كان قولاً أم كتابة، ولذلك لم يكن هذا الرمز معمولاً به في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية.

شروط الدعوة إلى الله

س: نحن كبراعم في الدعوة ما هي الطريقة التي نتبعها حتى ندعو الناس على أحسن وجه؟

الجواب: التسلح بالعلم النافع من الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، والحكمة هي العلم، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي العلم، فالجاهل لا يصلح للدعوة.

ثانيًا: العمل الصالح، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨]، فيشترط في الداعية أن يجتهد في العمل بما يدعو الناس إليه، حتى يقتدي به ويحسن به الظن؛ لقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

ثالثًا: الصبر على ما يناله، قال تعالى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣].

رابعًا: الرفق بالمدعو وتألفه إلى الخير، قال تعالى: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى يخاطب نبيه محمدًا ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾.

خامسًا: البداءة بما هو أهم، وهو إصلاح العقيدة، ثم ما بعدها شيئًا فشيئًا، كما فعل النبي ﷺ في العهد المكي والمدني.

القراءة بالقرآن على الماء ثم شربه

س: إذا طلب رجل به ألم رقًى وكتب له بعض آيات قرآنية وقال الراقي: ضعها في ماء واشربها فهل يجوز أم لا؟

الجواب: سبق أن صدر من دار الإفتاء جواب عن سؤال مماثل لهذا السؤال هذا نصه: كتابة شيء من القرآن في جام (وعاء) أو ورقة وغسله وشربه يجوز لعموم قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، فالقرآن شفاء للقلوب والأبدان، ولما رواه الحاكم في المستدرك وابن ماجه في السنن عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن». [المستدرك: ٤٠٣/٤]. وما رواه ابن ماجه عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الدواء القرآن». [ابن ماجه: ١١٥٨/٢ و١١٦٩].

وروى ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا عسر على المرأة ولادتها خذ إناءً نظيفًا فاكتب عليه ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ الآية، و﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا ﴾ الآية، و﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ الآية، ثم يغسله وتسقى المرأة منه وينضح على بطنها وفي وجهها».

وقال ابن القيم في زاد المعاد ج٣ ص٣٨١: «قال الخلال: حدثني عبد الله بن أحمد قال: رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض

أو شيء نظيف يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم) (الحمد لله رب العالمين)، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

قال الخلال: أنبأنا أبو بكر المروزي أن أبا عبد الله جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله تكتب لامرأة عسرت عليها ولادتها منذ يومين، فقال: قل له يجيء بجام واسع وزعفران، ورأيته يكتب لغير واحد».

وقال ابن القيم أيضًا: «ورأى جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض ومثله عن أبي قلابة». انتهى كلام ابن القيم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حياة النطفة قبل نفخ الروح

س: هل نفهم من نفخ الروح في الجنين بعد أربعة أشهر أن الحيوان المنوي المتحد ببيضة المرأة والذي يتكون الجنين منه لا روح فيه أو ماذا؟

الجواب: لكل من الحيوان المنوي وبويضة المرأة حياة تناسبه، إذا سلم من الآفات تهيء كل منهما بإذن الله وتقديره للاتحاد بالآخر، وعند ذلك يتكون الجنين إن شاء الله ذلك ويكون حيًا أيضًا حياة تناسبه حياة النمو والتنقل في الأطوار المعروفة فإذا نفخ فيه الروح سرت فيه حياة أخرى بإذن الله اللطيف الخبير، ومهما بذل الإنسان وسعه ولو كان طبيبًا ماهرًا فلن يحيط علمًا بأسرار الحمل وأسبابه وأطواره، وإنما يعرف عنه بما أوتي من علم وفحص وتجارب بعض الأعراض والأحوال، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾، وصلى الله على نبينا محمد.

ربا الفضل وربا النسيئة

س: نرجو التفضل ببيان ربا الفضل وربا النسيئة والفرق بينهما؟

الجواب: ربا النسيئة مأخوذ من النسأ، وهو التأخير، وهو نوعان:

الأول: قلب الدين على المعسر، وهذا هو ربا الجاهلية، فيكون للرجل على الرجل مال مؤجل، فإذا حل قال له صاحب الدين: إما أن تقضي، وإما أن تربي، فإن قضاه وإلا زاد الدائن في الأجل وزاد في الدين مقابل التأجيل، فيتضاعف الدين في ذمة المدين.

الثاني: ما كان في بيع جنسين اتفقا في علة ربا الفضل، مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما، كبيع الذهب بالذهب أو بالفضة، أو الفضة بالذهب مؤجلاً بدون تقابض في مجلس العقد.

أما ربا الفضل: فهو مأخوذ من الفضل، وهو الزيادة في أحد العوضين، وجاءت النصوص بتحريمه في ستة أشياء، وهي: الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح.

فإذا بيع أحد هذه الأشياء بجنسه حرم التفاضل بينهما، ويقاس على هذه الأشياء الستة ما شاركها في العلة، فلا يجوز مثلاً بيع كيلو ذهب رديء بنصف كيلو ذهب جيد، وكذا الفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، لا يجوز بيع شيء منها بجنسه إلا مثلاً بمثل، سواءً بسواء، يدًا بيد.

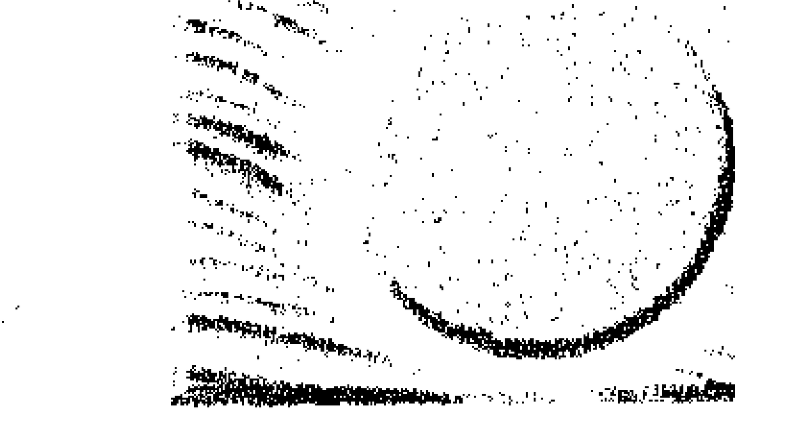
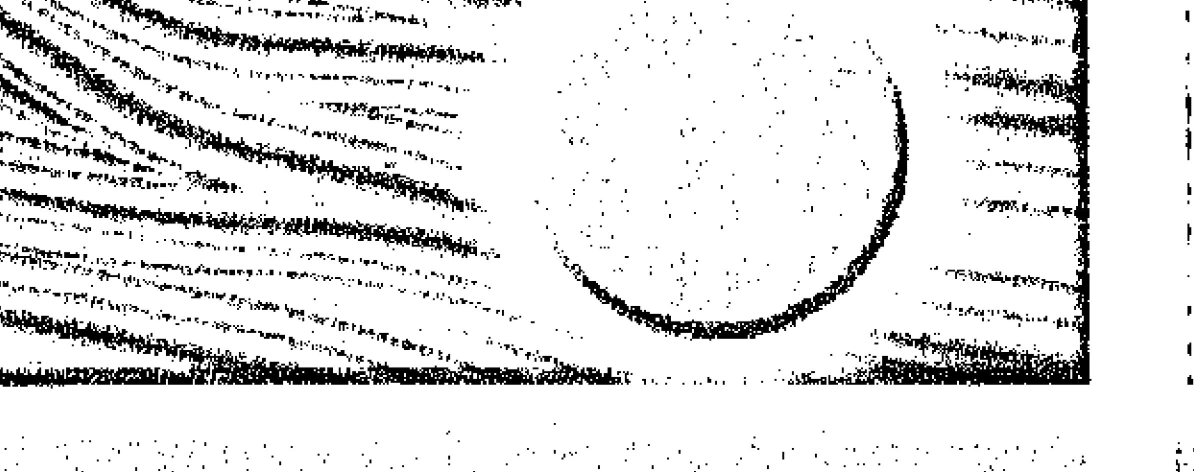
لكن يجوز بيع كيلو ذهب بكيلوين فضة إذا كان يدًا بيد؛ لاختلاف الجنس، وقد قال ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم؛ إذا كان يدًا بيد». رواه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

شروط البيع

س: هل يشترط لحيازة السلعة إدخالها المستودع، أم يكفي وصولها أمام مقر المؤسسة؟

الجواب: القبض الصحيح يتحقق بنقل السلعة من محل البائع إلى محل المشتري؛ لأن النبي ﷺ نهى أن تباع السلع حيث تبتاع؛ حتى يحوزها التجار إلى رحالهم، رواه أبو داود والترمذي، ونقلها من قبل المشتري إلى مكان لا سلطان للبائع عليه كافٍ في ذلك؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نشتري الطعام من الركبان جزافًا، فنهانا رسول الله ﷺ أن نبيعه حتى ننقله من مكانه». وفي رواية: «كنا في زمن النبي ﷺ نبتاع الطعام فيبعث علينا من يأمرنا بانتقاله من المكان الذي ابتعناه إلى مكان سواه قبل أن نبيعه». وفي رواية أخرى قال: «كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد النبي ﷺ فيبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه، حتى ينقلوه حيث يباع الطعام». وفي رواية أخرى قال: «رأيت الناس في عهد رسول الله ﷺ إذا ابتاعوا الطعام جزافًا يضربون أن يبيعوه في مكانه حتى يحولوه».

آله وصحبه وسلم.

الفتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

عنوان

س: عن مرثد بن عبد الله قال: «لما قدم علينا أبو أيوب غازيًا وعقبة بن عامر يومئذ على مصر فأخر المغرب فقام إليه أبو أيوب فقال له: ما هذه الصلاة يا عقبة؟ فقال: شغلنا، قال: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال أمتي بخير، أو قال: على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى أن تشتبك النجوم». سنن أبي داود، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

ونرى في هذه الأيام وخاصة الأسابيع الثقافية يؤخرون صلاة المغرب، محتجين بأن المحاضر لم يصل بعد والإمام الراتب موجود، فما رأي فضيلتكم؟

الجواب: جزاك الله خيرًا، وزادك الله حرصًا، ونحن معك في أن السنة في المغرب التعجيل، وإذا تأخر المحاضر تقام الصلاة ويؤم القوم الإمام الراتب إن كان موجودًا، أو أقرأ الحاضرين، ومتى يصل المحاضر يصلي ويلقي محاضرته.

كيفية التكبير في الأذان

يسأل الأخ / شعبان عبد المجيد الجيزة عن:

هل التكبيرات في الأذان: «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر»، أم: «الله أكبرْ، الله أكبرْ، الله أكبرْ، الله أكبرْ».

الجواب: الأفضل للمؤذن أن يجمع بين كل تكبيرتين في نَفَس، لما ورد في فضل إجابة المؤذن. عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر...» الحديث [رواه مسلم ٣٨٥].

وظاهره يدل على الجمع بين كل تكبيرتين في نَفَس.

الدعاء للميت بعد دفنه

يسأل: تامر كمال بهلول- ميت فارس دقهلية:

عندما نذهب إلى المقابر لدفن أحد المسلمين نرى شيخًا يقف ليعظ الناس بالموت والحساب ثم يدعو للمتوفى بالرحمة والثبات والمغفرة، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: لا بأس بالموعظة عند القبر أحيانًا، أما الدعاء للميت بالثبات والمغفرة فيكون سرًا لا جهرًا، يدعو كل حاضر في نفسه، ولا يجتمعون على الدعاء.

الجرس في المسجد

يسأل: الطيب الجيزاوي: عن حكم وجود ساعة ذات جرس في المسجد؟

الجواب: وجود الساعة ذات الجرس الذي يدق كالناقوس في المسجد من المنكرات التي يجب تطهير المساجد منها، واستبدال هذه الساعة بساعة أذان لا إثم فيه، وتركه أولى.

حكم كسب اللعب والأغاني

يسأل سائل: كنت أعمل في مركز الحاسب الآلي، وهذا المركز يعتمد في كسبه على الألعاب التافهة والأفلام الهابطة والأغاني الخليعة، وقد تبت إلى الله تعالى وتركت العمل في هذا المركز، فما حكم ما كسبته من المال؟

الجواب: زادك الله حرصًا، وثبتك على طريق الحق، وقد قال تعالى: ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾، وقال النبي ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»، فعليك بالاجتهاد في الطاعة والعبادة، وأكثر من الصدقة من المال الحلال يكفر الله عنك سيئاتك ويعفو عنك.

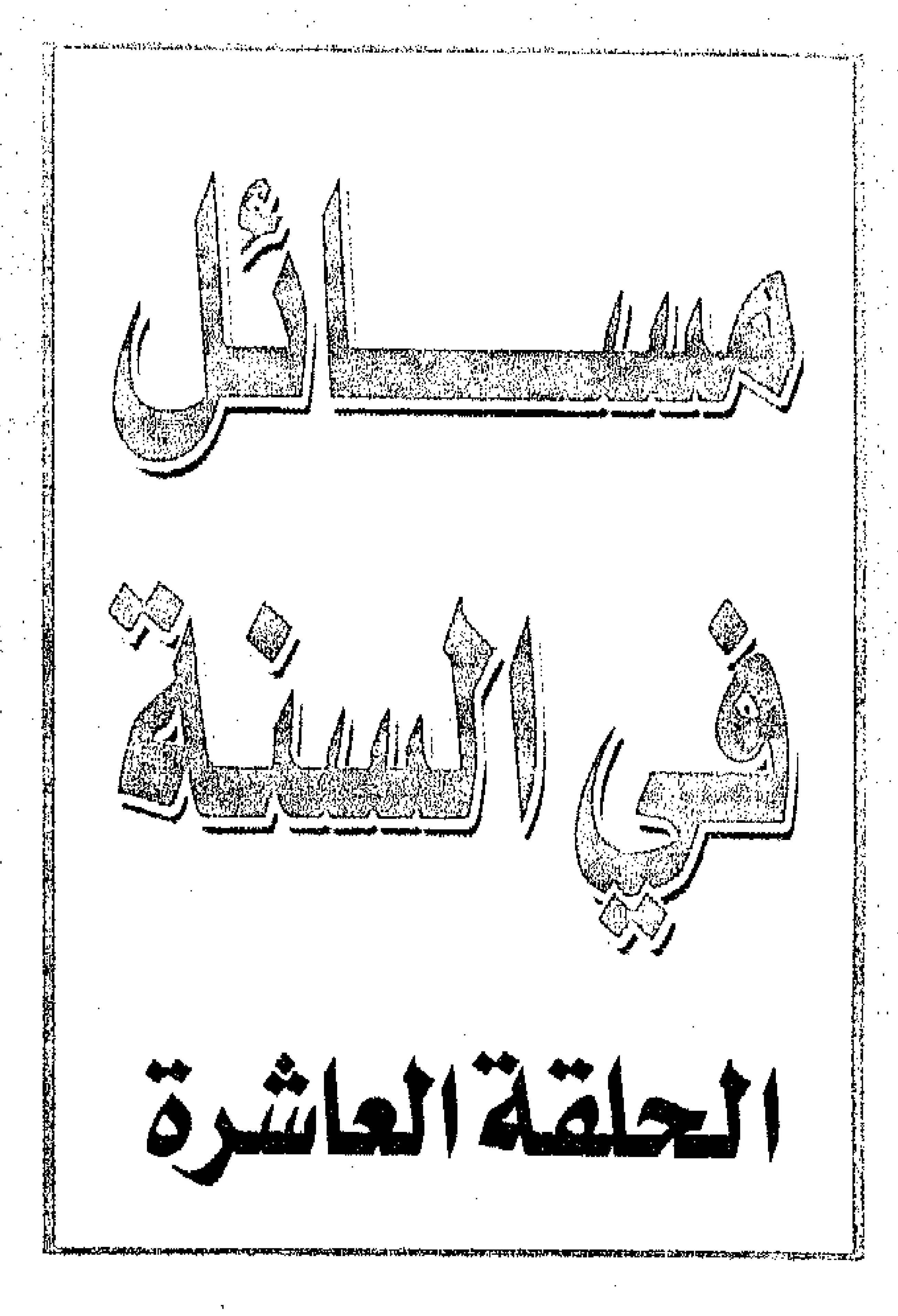
علامات الساعة

يسأل: وجيه عبد الحكيم محمد حسن- ٦ أكتوبر- الجيزة.

السؤال: هل هناك علامات للساعة تسمى علامات صغرى وكبرى؟ وإذا كان فهل يتنافى هذا مع قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾؟

الجواب: قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ أي علاماتها، وبالاستقراء قسم العلماء هذه العلامات إلى ثلاثة أقسام: صغرى قد ظهرت ومنها بعثة النبي ﷺ، ووسطى ظهرت وهي تتفشى، ومنها شرب الخمر وفشو الزنا، وكبرى منتظرة، منها: المهدي، والدجال، ونزول عيسى ابن مريم من السماء، وخروج يأجوج ومأجوج، وتستطيع للوقوف على التفصيل في كتاب «الفتن والملاحم» للحافظ ابن كثير.

ومع هذه العلامات فلا يعلم متى الساعة إلا الله، ولكن هذه العلامات تدل على قربها.



الوضع في سنة النبي ﷺ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

سنتناول في هذا العدد - إن شاء الله - الحديث الموضوع على سنة النبي ﷺ وكيف أنَّ جماعة من الناس على اختلاف مشاربهم وأهوائهم استحلوا الكذب على رسول الله ﷺ، رغم الوعيد الشديد من النبي ﷺ لمن كذب عليه، كما في الصحيحين: «إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

إعداد

متولي البراجيلي

أولاً: الحديث الموضوع

لغة: مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعًا، إذا حطه وأسقطه، ويقال: وضع فلان على فلان كذا، أي ألصقه به.

اصطلاحًا: هو الحديث المختلق المصنوع، المكذوب على رسول الله ﷺ.

وقد سمي بالحديث رغم كونه ليس بحديث، إمَّا بإرادة القدر المشترك وهو يحدَّث به، أو بالنظر لما في زعم واضعه، وأحسن منهما أنه لأجل معرفة الطرق التي يتوصل بها لمعرفته لينفى عن المقبول ونحوه. [فتح المغيث للسخاوي، النكت على نزهة النظر لعلي حسن عبد الحميد، الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة]

ثانيًا: أنواع الحديث الموضوع

١- أن يضع الواضع كلامًا من عند نفسه، ثم ينسبه إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابي أو التابعي.

٢- أن يأخذ الواضع كلامًا لبعض الصحابة أو التابعين أو الحكماء والصوفية، أو ما يروى في الإسرائيليات، فينسبه إلى رسول الله ﷺ، ليروج وينال القبول.

مثال لما هو من قول الصحابة: ما يروى من حديث: أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما. فالصحيح أنه من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

مثال لما هو من قول التابعين: حديث: «كأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل...» فهو من كلام عمر بن عبد العزيز.

مثال لما هو من كلام الحكماء: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء» فهو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب على المشهور.

مثال لما هو من كلام المتصوفة ما يروى: «كنت كنزًا مخفيًا، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق، فعرفتهم بي فعرفوني».

مثال لما هو من الإسرائيليات: ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن. قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: هو من الإسرائيليات، وليس له أصل معروف عن النبي ﷺ. [الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة]

٣- أن يأخذ الواضع حديثًا ضعيف الإسناد، فيركِّب له إسنادًا صحيحًا ليروج ويشتهر، وهذا النوع يكون موضوع الإسناد لا المتن.

ثالثًا: أسباب الوضع في الحديث

هي كثيرة، ونذكر منها ما يلي:

١- العداوة للإسلام:

وذلك بدخول كثير من الأمم المغلوبة الإسلام كالفرس والروم واليهود وغيرهم، فكان منهم طائفة من المنافقين أظهروا الإسلام وأبطنوا الحقد عليه في قلوبهم فسعوا بشتى الوسائل لإفساد الناس وتشكيكهم في دينهم، كعبد الله بن سبأ اليهودي الذي أخذ يؤلب الناس على عثمان رضي الله عنه ويضع الأحاديث في فضل علي رضي الله عنه كحديث: لكل نبي وصي، ووصيي علي. ولم يقف به الأمر عند هذا الحد، بل ادعى ألوهية علي رضي الله عنه، ومثل محمد بن سعيد المصلوب فقد روى عن أنس مرفوعًا: أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله.

٢- ظهور الفرق المختلفة:

الشيعة ينتصرون لعلي رضي الله عنه، والعثمانية، ينتصرون لعثمان رضي الله عنه، وخوارج يعادون الشيعة وغيرهم، ومروانية ينتصرون لمعاوية وبني أمية، وقد استباح بعض هؤلاء لأنفسهم أن يؤيدوا أهواءهم ومذاهبهم بما يقويها.

وأيضًا الفرق الكلامية المختلفة من معتزلة ومرجئة وجبرية وجهمية وكرَّامية.. كان له أثر كبير في إذكاء حركة الوضع، فوضعوا أحاديث يؤيدون بها مذاهبهم المختلفة كمثل الحديث الموضوع: الإيمان قول، والعمل شرائعه لا يزيد ولا ينقص.

ومثل قولهم: إن رسول الله ﷺ قال وقد سئل عن الإيمان: هل يزيد وينقص، فقال: لا، زيادته كفر، ونقصانه شرك.

ومثل ما وضعه المرجئة: كما لا ينفع مع الشرك شيء، كذلك لا يضر مع الإيمان شيء.

وقد روى ابن حبان في كتاب المجروحين عن شيخ من الخوارج أنه كان يقول بعدما تاب: انظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيَّرناه حديثًا. زاد غيره في رواية: ونحتسب الخير في إضلالكم.

وكذلك قال محرز أبو رجاء وكان يرى القدر فتاب منه: لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئًا، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس في القدر نحتسب بها.

وقال الشافعي: ما في أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة. [فتح المغيث للسخاوي]

ومن أمثلة الأحاديث التي وضعها الرافضة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نظر النبي ﷺ إلى علي فقال: أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، ومن أحبك فقد أحبني، وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي.

٣- التقرب إلى الحكام:

فوضع بعض ضعفاء الإيمان أحاديث في فضائل الحكام والحط من شأن أعدائهم، أو لينال رضا الحاكم.

كما حدث من أبي البختري الكذاب: فقد دخل - وهو قاض - على الرشيد، وهو يطير الحمام، فقال له الرشيد: هل تحفظ في هذا شيئًا، فروى حديثًا:

أن النبي ﷺ كان يطيِّرُ الحمام، فقال له الرشيد وقد أدرك كذبه: لولا أنك من قريش لعزلتك.

وكما حدث من غياث بن إبراهيم لما دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام، فروى له حديث: «لا سبق إلا في نصل أو خفٍ أو حافر، أو جناح»، إرضاءً للمهدي، فقال المهدي له وهو خارج: أشهد أن قفاك قفا كذاب، وأمر بذبح الحمام، وقال: أنا حملته على ذلك.

وما وضعه غياث هو قوله: أو جناح، أما أصل الحديث بدون هذه الزيادة فهو صحيح.

ومعنى الحديث: لا سبق: لا عوض يؤخذ في المسابقة إلا في نصل (سهم)، أو خف (الإبل)، أو حافر (الخيل).

٤- الخلافات الفقهية:

كان لها أثرها في حركة الوضع، فوضعت أحاديث في فضائل بعض الأئمة، وأحاديث في ذم بعضهم.

ومن أمثلة ذلك أنه قيل لمأمون بن أحمد الهروي: ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه بخراسان، فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا عبيد الله بن معدان الأزدي عن أنس مرفوعًا: يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي هو سراج أمتي.

وكذلك وضعت أحاديث في الاستشهاد لبعض الفروع الفقهية، كما قيل لمحمد بن عكاشة الكرماني: إن قومًا يرفعون أيديهم في الركوع وفي الرفع منه، فقال: حدثنا المسيب بن واضح، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن يزيد عن الزهري عن أنس مرفوعًا: من

رفع يديه في الركوع فلا صلاة له.

٥ - التكسب والارتزاق:

كمثل الذي أراد أن يروِّج لسلعته فقال حديثًا موضوعًا عن النبي ﷺ : «الباذنجان لما أكل له». وهو قياس على حديث النبي الصحيح: «ماء زمزم لما شرب له». [صحيح الإرواء].

أو الآخر الذي كسدت بضاعته فوضع حديثًا فيها يقول: «الهريسة تشد الظهر». وكبعض القصَّاص الذين يتكسبون بالتحدث إلى الناس فيوردون بعض القصص المسلية والعجيبة حتى يستمع إليهم الناس ويعطوهم.

مثل ما أورده ابن حبان في كتاب المجروحين: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قائم فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : من قال لا إله إلا الله تُخلق من كل كلمة منها طير منقاره من ذهب وريشه من مرجان... وأخذ في قصة نحو عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال: أنت حدثت بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به قط إلا الساعة، قال: فسكتوا جميعًا حتى فرغ من قصصه وأخذ قطاعه (دراهمه)، ثم قعد ينظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده: أن تعال، فجاء متوهمًا لنوال غيره، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ ، فإن كان لابد والكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما علمته إلا الساعة، فقال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى وأحمد غيركما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. [كتاب المجروحين لابن حبان]

٦- الجهل:

لقد كان لجهلة المتصوفة والقصاص الباع الكثير في وضع أحاديث على النبي ﷺ حسبة لله تعالى، ويقولون نحن لا نكذب على رسول الله ﷺ إنما نكذب له.

ومن أمثلة من وضع الأحاديث حسبة لله تعالى ما رواه الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي، أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: من أين ذلك: عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة.

وروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن مهدي قال: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟

قال: وضعتها أرغِّب الناس، وكان غلامًا جليلاً يتزهد ويهجر شهوات الدنيا وغلقت أسواق بغداد لموته ومع ذلك كان يضع الحديث.

وقيل له عند موته: حسِّن ظنك؟ قال: كيف لا وقد وضعت في فضل علي سبعين حديثًا.

وكان أبو داود النخعي أطول الناس قيامًا بليل وأكثرهم صيامًا بنهار وكان يضع.

وقال ابن عدي: كان وهب بن حفص من الصالحين مكث عشرين سنة لا يكلم أحدًا وكان يكذب كذبًا فاحشًا. [تدريب الراوي]

٧- الترغيب والترهيب:

وجوزت الكرَّامية وهم قوم من المبتدعة نسبوا إلى محمد بن كرَّام السجستاني (كان زاهدًا عابدًا لكنه التقط من المذاهب أرداها ومن الأحاديث أوهاها) الوضع في الترغيب والترهيب دون ما يتعلق به حكم من الثواب والعقاب ترغيبًا للناس في الطاعة، وترهيبًا لهم عن المعصية، واستدلوا بما روي في بعض طرق الحديث: «من كذب عليَّ متعمدًا ليضل به الناس»، والحديث بهذه الزيادة ليس بصحيح، وحمل بعضهم حديث: «من كذب عليَّ» أي قال إنه شاعر أو مجنون، وإنه قيل في رجل معين ذهب إلى قوم وادعى أنه رسول رسول الله ﷺ فحكم في دمائهم وأموالهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأمر بقتله وقال هذا الحديث.

وقال بعضهم: إنما نكذب له لا عليه.

وقال محمد بن سعيد المصلوب الكذاب الوضَّاع: لا بأس إذا كان كلام حسن أن يضع له إسنادًا.

وقال بعض أهل الرأي فيما حكاه القرطبي: ما وافق القياس الجلي جاز أن يعزى إلى النبي ﷺ .

[تدريب الراوي]

فهؤلاء أوتوا من جهلهم، وغرَّ بعض الناس ما يرونه عليهم من الزهد في الدنيا، ولكنهم كما قال تعالى: ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

فلم يُفرقوا بجهلهم بين ما يجوز لهم وما لا يجوز لهم، كما يحكى عمن كان يتصدى للشهادة برؤية هلال رمضان من غير رؤية، زاعمًا للخير بذلك لكون اشتغال الناس بالتعبد بالصوم يكفهم عن مفاسد تقع منهم ذلك اليوم. [فتح المغيث]

ولهذا قال يحيى القطان: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير. أي لعدم علمهم بتفرقة ما يجوز لهم وما يمتنع عليهم.

ولأن عندهم حسن ظن وسلامة صدر، فيحملون ما سمعوه على الصدق، ولا يهتدون لتمييز الخطأ من الصواب. [تدريب الراوي]

وكالحديث الطويل الذي وضعوه على أُبي بن كعب رضي الله عنه في فضائل سور القرآن سورة سورة- وما زال الناس يتداولونه فيما بينهم إلى الآن - الذي اعترف راويه بالوضع له، فقد روى الخطيب البغدادي من طريق أبي عبد الرحمن المؤمل بن إسماعيل العدوي البصري ثم المكي المتوفى بعد المائتين، وكان - كما قال أبو حاتم - شديدًا في السنة، ورفع أبو داود من شأنه؛ ما معناه: أنه لما سمعه من بعض الشيوخ سأله عن شيخه فيه، فقال رجل بالمدائن وهو حي فارتحل إليه، فأحال على شيخ بواسط فارتحل إليه، فأحال على شيخ بالبصرة، فارتحل إليه، فأحال على شيخ بعبادان، قال المؤمل: فلما صرت إليه أخذ بيدي فأدخلني بيتًا فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ، فقلت له: يا شيخ من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: لم يحدثني به أحد، ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن.

ولقد أخطأ كل من أودعه في كتاب التفسير كالواحدي، وابن مردويه، والثعلبي، والزمخشري، إذ الصواب تجنب إيراد الموضوع إلا مقرونًا ببيانه، والزمخشري أشدهم خطأ، حيث أورده بصيغة الجزم غير مبرز لسنده، وتبعه البيضاوي بخلاف الآخرين فإنهم ساقوا إسناده. [فتح المغيث]

فائدة:

ذكر الحافظ ابن حجر أن الاكتفاء عن بيان حاله (درجة الحديث) بالنظر في سنده طريقة معروفة لكثير من المحدثين، وعليها يحمل ما صدر عن كثير منهم من إيراد الأحاديث الساقطة معرضين عن بيانها بيانًا صريحًا.

وقد وقع هذا لجماعة من كبار الأئمة، وكان ذكر الإسناد عندهم من جملة البيان، ومن هؤلاء كما في فتح المغيث للسخاوي: الطبراني وابن منده وأبو نعيم والحكيم الترمذي وأبو الليث السمرقندي، وقد كان علماء عصرهم يعرفون الإسناد فتبرأ ذمتهم من العهدة بذكر السند. قال السخاوي: ولا تبرأ العهدة في هذه الأعصار على إيراد إسناده بذلك لعدم الأمن من المحذور به، وإن كان صنعه أكثر المحدثين في الأعصار الماضية في سنة مائتين وهلم جرًا.

[هامش تدريب الراوي]

٨- ذم الخصوم:

فقد وضع قوم أحاديث في ذم من يريدون ذمه، كما أسند الحاكم عن سيف بن عمر التميمي قال: كنت عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتّاب يبكي، فقال ما لك؟ قال: ضربني المعلم، فقال: أما والله لأخزينهم، حدثني عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «معلمو صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين».

٩- قصد الشهرة:

وذلك بإيراد أحاديث فيها غرائب ليست موجودة عند أحد من شيوخ الحديث ليشتهر بها ويعرف.

مثل الحديث الذي وضعه محمد بن سليمان بن هشام (وهو في تاريخ بغداد) حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسرى بي إلى السماء: فصرت إلى السماء الرابعة سقط في حجري تفاحة، فأخذتها بيدي، فانفلقت، فخرج منها حوراء تقهقه، فقلت لها تكلمي، لمن أنت؟ قالت: للمقتول شهيدًا عثمان.

مراجع الموضوع

[فتح المغيث للسخاوي، تدريب الراوي للسيوطي، كتاب المجروحين لابن حبان، النكت على نزهة النظر لابن حجر لعلي حسن عبد الحميد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة، نزهة النظر لابن حجر تحقيق عمرو عبد المنعم، شرح نزهة النظر لابن عثيمين، أسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث للعدوي، تيسير مصطلح الحديث للطحان، تيسير علوم الحديث لعمرو عبدالمنعم]

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

التوبة وفضلها

الحلقة الثالثة

إعداد/ محمد رزق ساطور

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم: أي حكمًا، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة». [البخاري ٦/٥٩١، ومسلم ١٧/٨٢، ٨٣]

وفي هذا الحديث من الكنوز والفوائد الكثير لمن تدبره، وها نحن نذكر بعضًا منها:

الأولى: الاعتبار بما مضى في السابقين، وبمن كانوا قبلنا، فكان منهم من رضي الله عنهم وتقبل منهم، وأقال عثرتهم وأنار بصيرتهم، فكل من طلب من الله العفو، عليه أن يستقيم على أمره، ليقبل منه ويتجاوز عنه، وأن من لم يعتبر بغيره ويرجع عن غيه، كان عبرة لمن بعده، فالنبي ﷺ يربط هذه الأمة بمن سبقها على طريق التوبة والإيمان لأن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام وحتى يعلم المسلمون أننا لا نسير في طريق التوبة وحدنا بل لقد سار في هذا الطريق كل الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم الذين صدقوا في إيمانهم، أما من بدل وغير فإننا نبرأ منه ويبرأ منه الأنبياء والمرسلون ومن صدق من أتباعهم.

والثانية: أن قساوة القلب، والبعد عن الله، والجهل واقتراف المعاصي، وفعل القبائح والسيئات لها حد ولها نهاية، من وضع لها حدًا في الدنيا بالتوبة فقد فاز، وإلا كانت النهاية في النار- عياذًا بالله منها- فهذا قاتل محترف قتل تسعة وتسعين نفسًا، وبعد ذلك يمل من كثرة هذه القبائح ويرجو رحمة ربه سبحانه ويطلب التوبة، فطريق العصيان كله ملل ونصب وشقاء وهلاك وتعب، فالمخالفات من شأنها أن تهلك القلب ولا تسعده، ماذا كان يريد هذا الرجل بعد أن قتل تسعة وتسعين نفسًا، ربما كان سعيدًا سعادة مؤقتة زائفة بذلك، وربما كان يثبت لنفسه هذه السعادة الزائفة بقتل الأنفس، ومع ذلك أحس أن ما فعله هو الدمار والشقاء والضياع والرعب والفزع والاضطراب والقلق، هذا حينما أبصر الحق وزالت عنه غشاوة الباطل فلا بد من حل للخروج من هذه الأزمات، إن ذلك لا يكون إلا بالقرب من الله تعالى والتوبة له والخضوع والذل والاستسلام والإذعان والانقياد لأمره تعالى، هذه بغية القلب التي يبحث عنها والتي إن وجدها استراح، آمن هذا الرجل بذلك، إن ما كان يعيش فيه من مال ومتع زائفة وحياة غنية باللهو والعبث والشهوة واللذة لم تشبع له نفسًا، ولم تسد له حاجة، فظل الرجل في تيه وملل حتى أحس بنور الله فتعلق به لأنه النجاة والفكاك من ظلمة العين وقساوة القلب، ولذلك لما وقف الراهب ليحول بينه وبين الله، وبينه وبين النور الذي رأى أنه نجاته، أحس أن ذلك الراهب يحول بينه وبين السعادة الحقيقية وأراد أن يرده إلى الوحل وإلى ما قاسى منه من هلاك وضياع ودمار، ولذلك قتله غير آسف على قتله لأنه بعد ما وجد الطريق رأى من يبعده عنه، فالتوبة هي العلاج والدواء وسبب السعادة، ثم فيها الاعتراف بما فعله العبد والوقوف بين يدي الله لطلب العفو والصفح، وعند ذلك تكتمل سعادة العبد؛ لأن من وجد الله فقد وجد كل شيء، ومن فقد طريق الله فَقَدَ كل شيء.

الثالثة: أن المستكثر من أي شيء يمل منه ويرغب عنه إلا المستكثر من الطاعات والبر والإيمان، فهذا القاتل مل من القتل على كثرته لأنه لم يشف له غليلاً، ولم يرح له قلبًا، فلا يطلب الزيادة على ما هو

عليه إلا المؤمن، ولذلك على العبد أن ينظر هل يزداد عند الله خيرًا أم إثمًا، فلا يستكثر إلا من القربات، فلو أنك نظرت إلى حال هذا القاتل، الذي بدأ طريقه وحياته بقتل الناس والاعتداء عليهم، وإذا به يفعل كل ذلك ولم يكتشف أمره، ولم يفضح، ولم يستطع أحد أن يقتله قبل أن يتمكن من كل هذا العدد، مع كل هذا الطغيان والتمرد والجبروت علم أن القتل لم يقدم له شيئًا مما قتل من أجله، فعاد نادمًا ليستكثر من الزاد الحق الذي انتكس عنه من قبل، فلابد من الندم على الإكثار في الفساد ثم العمل بالطاعات والإكثار منها فهي السبيل لمن فرط وقصر في حق الله.

الرابعة: قصور عقول بني آدم، وعدم إدراكها لكثير من مصالحها وأنها عاجزة ما لم ترتبط بالشرع، فلو أن إنسانًا فكر بعقله، في شأن قاتل محترف، ومجرم سفاك للدماء قتل تسعة وتسعين نفسًا، هل يهتدي للتوبة؟ يشاء العليم الخبير سبحانه أن يختم لهذا العبد خاتمة طيبة، فلا يمكن منه أحدًا ليقتله قبل أن يتوب، ولا تدركه منيته حتى يسأل أهل العلم، ويعزم الرجوع والعودة، ويقبل على الله، فيقبل منه توبته، وهذا من رحمة الله بالتائبين، فلابد للعبد أن يشغل نفسه بالله، ويرجع إليه ليوفقه، ولا يستعظم ذنوبه، فالله وعد بالغفران، فلابد من الرجوع السريع، والله الموفق.

الخامسة: أن التائب حين يريد التوبة ويطلبها عليه أن يسأل عن حكم أخطائه ومعاصيه وكيف يتحلل منها حتى تكون التوبة نصوحًا، ولا ينبغي أن يرتجل في توبته فيعتمد على فكره ورأيه وحده، بل عليه أن يسأل ويتعلم ليعمل عملاً لا يتوب منه بعد ذلك، وإذا سأل يتحرى ويبحث عن عالم من علماء الآخرة، ليطمئن على توبته، ومن هنا بدأ هذا الرجل يسأل عن أعلم أهل الأرض، ولم يكتف بالسؤال عن أي عالم، فهو يريد توبة تخلصه من كل ذنوبه فبحث عن خلاصة العلماء، وحينما لم يجد بغيته في المرة الأولى لم ييأس وظل يسأل عن أعلم أهل الأرض حتى وفقه الله إلى عالم فتاب على يديه، وهذا الرجل كان منصفًا، فمع أنه قابل عابدًا جاهلاً إلا أنه لم يعمم الحكم على غيره- فإن بعض الناس حين يتعامل مع إنسان فيخدعه فيقول إنهم جميعًا مثله- أو يقول: كلهم هكذا، بل أدرك هذا الرجل أن الناس فيهم الصادق والمدعي، فجعله ذلك يعود فيسأل عن أعلم أهل الأرض ووجده، وهذا من بركات الإنصاف وعدم إلقاء الأحكام جزافًا.

السادسة: أن العلم يمنع صاحبه القتل في الدنيا قبل الآخرة؛ لأنه ينير البصيرة، فيميز العالم بين من يسألونه، خاصة أن العلماء يرد عليهم خيار أهل الأرض، وكذا أفسد أهل الأرض، ولذلك فإن الجهل قتل صاحبه، فحينما أفتى الراهب هذا الرجل بأنه لا توبة له، أفتى بجهل، وكانت هذه الفتيا سببًا في قتله، وأن العالم حين أفتى نفس الرجل ولكن بعلم انقاد له وأذعن ولم يخالفه، ولم يعترض عليه ونفذ كل ما أمره به، وهذا من بركة العلم، وكذلك فإن العلم يجعل صاحبه يستوعب الجاهل والمجرم والقاتل فيؤلف قلبه، ويداوي جرحه، ولا يتأفف من رائحة المعاصي التي تفوح منه، فإن الطبيب إذا تأفف من مريضه فمن يداويه؟ ومن يخرج القيح والصديد من جروحه ويصبر عليه ويتابعه؟ ثم إن الطبيب مهما كانت حالة مريضه فإنه ينبغي ألا يصارح المريض إلى هذا الحد، فمثلاً لا يقول له: اذهب فسوف تموت الآن، أو لا أمل في شفائك، أو انطلق حتى لا تعدي الناس فأنت هالك لا محالة، بل إن الطبيب الواعي هو الذي يفسح لمريضه في الأجل ويطمئنه ويعطيه الدواء المناسب، ثم الأمل في وجه الله لا ينقطع، ولذلك فإن أهل العلم هم الأطباء والممرضون والخدم للخلق فلا ينبغي أن يقنطوا الناس في رحمة الله، بل التوبة مفتوحة حتى الغرغرة.

السابعة: أن العالم هو الذي يحبب الناس في الله، ويرغبهم في رحمته، ويبين لهم سعة حلمه وعفوه وكرمه لمن تاب وأناب، ولذلك قال العالم للرجل: «ومن يحول بينك وبينها». فالعلاقة بين العبد وربه موصولة دائمة متينة، فلو أن العبد قطعها وانغمس في شهواته وانطوى على ملذاته، وذاب في رغباته، فإن الله تعالى لا يقطعها ولا ييأس من توبة عبده فهو الذي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، والعالم مطالب أن يدل الناس على الله، ثم بعد ذلك علاقة العبد بربه لا يطلع عليها إلا الله، فإن شاء قبل منه وغفر له.

الثامنة: أن العالم لا يقف عند حد الفتوى الجافة، ولكن عليه أن يوجد للسائل مخرجًا كريمًا يساعد فيه العاصي على أن يتجاوز المحنة، فلقد كان من الممكن أن يكتفي العالم بأن يقول لذلك الرجل: نعم باب التوبة مفتوح فتب إلى الله، ويسكت عند هذا الحد، ولكن العالم لم يكتف بذلك بل إنه دله كيف يعمل؟ وكيف يتصرف؟ وكيف يتوب، ودله على قوم صالحين يعبد الله معهم في أرض كذا، وسماها

للرجل؛ لأن صاحب المعصية مهما صحت توبته وقبلت في حاجة إلى من يعلمه ويوجهه، ومن هذا فإن العالم ينبغي أن يجيب السائل بأكثر من السؤال، أو بما وراء السؤال ليزيل عنه كل إشكال.

التاسعة: البحث عن هذا الصنف من العلماء، مع إخلاص النية في سؤال أهل الحق، فلو أن الإنسان بحث عن أهل العلم، ولم يوفق لهم في البداية فحق على الله تعالى أن يوفقه ويدله على بغيته، فالله تعالى وفق العاصي القاتل إلى أهل العلم ومقابلتهم والتعلم منهم حين صدقت نيته، وكذلك الحذر من علماء السوء الذين يفتون بغير علم.

العاشرة: فضل الصحبة الطيبة، واختيار الصاحب الذي يذكرك بالله ولا يحرمك من نصيحته، ويحافظ عليك حتى من شر نفسك التي بين جنبيك، ولذلك، كان من بركة هذه الصحبة الطيبة أن غفر الله لهذا الرجل بنية اقترابه من الصحبة الصالحة، فإن كان من يقترب يصنع معه ذلك، فماذا بالصاحب الخليل والرفيق القريب.

الحادية عشرة: عاقبة الصحبة السيئة لقرناء السوء، كادت تختم لهذا الرجل بخاتمة سيئة، فلقد أماتت قلبه، ودفعته للمنكر، وزينت له القتل، وشجعته عليه، لولا أن الله سلم.

الثانية عشر: أن الشيطان أبعد عن الجماعة عنه عن الواحد، وأن من أراد التوبة لابد أن يلتحق بصحبة طيبة، ولا يترك نفسه وحده، حتى لا يقع في مصايد الشيطان ومخالبه ووساوسه التي تفسد على العبد علاقته بالله تعالى.

الثالثة عشر: أن الموت يأتي بغتة، وأن العبد إذا علم أنه مهدد بالموت صحح نيته، وعقيدته وعبادته فيلقى الله تعالى على نية حسنة، فمن كان يظن أن يموت هذا القاتل وهو لا يزال بصحته وقوته، ولكن العبد لا يدري متى يموت فينبغي له أن يستعد؛ لأن الموت يأتي بغتة، وعلمه بذلك يدفعه إلى سرعة التوبة والإنابة والتذلل والندم، حتى يعطيه الله فوق نيته الطيبة بغير حساب كرمًا منه تعالى وإحسانًا.

الرابعة عشر: لابد أن يستحي الإنسان من عمله، فلسوف يعرض على ربه، ويظهر أمام الملائكة، ولعله يختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فلابد من الإخلاص؛ لأن الإخلاص هو الخلاص، والاستحياء من العمل، أن يطلع الخلق على فضائحه، وملائكة الرحمة تلتمس المعذرة لمن تاب وأناب، وملائكة العذاب تطلبه لمن تكبر وظلم واستحق العذاب والعقاب.

الخامسة عشر: الانسلاخ عن مكان المعصية من أنفع الأدوية لعلاج اقتراف المعاصي؛ لأن وجود العبد في نفس المكان الذي تعود فيه على الفحش والمخالفات يجعله يحن للمعاصي، فإن هدى الله أهل المكان الأول جازت العودة إليهم؛ لأنهم سيساعدونه على الاستقامة، أما إذا خلا عن ناصح أمين، فالانسلاخ أولى والبعد أنفع.

السادسة عشر: إذا أحب الله تعالى عبدًا قبل منه توبته، ووفقه إليها، ومن ثم فإذا علم العبد ذلك حرص عليها لينال هذا الحب والرضوان حتى إذا ما قبض، لقي الله تعالى وهو عنه راض، ولما توقف الحكم على هذا الرجل على المسافة بين الأرض الطيبة أو الأرض السوء، طوى الله تعالى الأرض وقرب التائب من الأرض الطيبة ليكون من أهلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

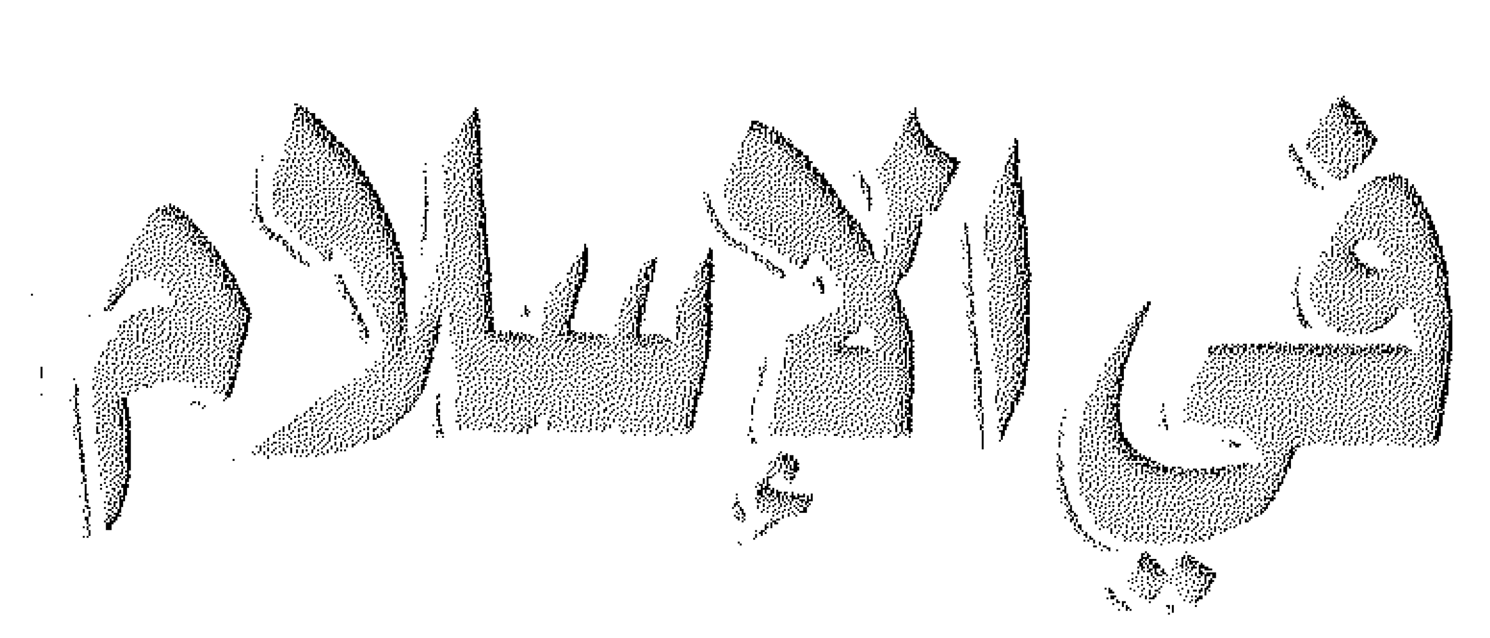
السابعة عشر: أن الاختلاف ثابت وواقع حتى بين الملائكة، ولكن أدب الاختلاف يقتضي أن يتحاكم كل من الفريقين إلى أهل الحق ليفصلوا بينهم بما أنزل الله، ثم عليهم أن يعظموا حكم الله، ويحكموا أفضل الموجودين حتى يهديهم الله تعالى إلى سواء السبيل.

الثامنة عشر: فضل وشرف ابن آدم وأنه حين يستقيم على أمر الله فإنه يكون أشرف من الملائكة، بل إن الملك الذي نزل ليحكم بين الملائكة تصور في صورة آدمي وهذا يدل على شرف الصورة، فكيف بالأصل إذا استقام وأناب، والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

ودّعت أنصار السنة المحمدية واحداً من أبنائها الدعاة؛ وهو الشيخ/ مسعد كامل حسن، وذلك يوم الأحد ١٦ ذو القعدة، وقد عمل بالدعوة إلى الله أكثر من خمس عشرة سنة على منابر الجماعة فرع جالية وقلابشو ـ ببلقاس، كما عمل في مجال التحقيق والنشر.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنه صالح العمل، وأن يسكنه فسيح جناته..

الأخلاق في الإسلام

• الحلقة الأولى •

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

يقول النبي ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». [سنن البيهقي وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥)]

فكأن مكارم الأخلاق بناء شيده الأنبياء، وبُعث النبي ﷺ ليتم هذا البناء. فيكتمل صرح مكارم الأخلاق ببعثته ﷺ، ولأن الدين بغير خلق كمحكمة بغير قاضي، وكذا فإن الأخلاق بغير دين عبث، والمتأمل في حال الأمة اليوم يجد أن أزمتها أزمة أخلاقية، لذلك نتناول في هذه السلسلة بعض المفاهيم الأخلاقية، وبعض محاسن الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتحلى بها ومساوئ الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتخلى عنها.

مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحًا

الخلق لغة: هو السجية والطبع والدين وهو صورة الإنسان الباطنية، أما صورة الإنسان الظاهرة فهي الخلق، لذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «... واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت». [مسلم (٧٧١)]

ويوصف المرء بأنه حسن الظاهر والباطن إذا كان حسن الخلق والخلق.

والخلق اصطلاحًا: عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ولا روية، وهذه الهيئة إما أن تصدر عنها أفعال محمودة وإما أن تصدر عنها أفعال مذمومة، فإن كانت الأولى كان الخلق حسنًا وإن كانت الثانية كان الخلق سيئًا.

هناك فرق بين الخلق والتخلق إذ التخلق هو التكلف والتصنع وهو لا يدوم طويلاً بل يرجع إلى الأصل، والسلوك المتكلف لا يسمى خلقًا حتى يصير عادة وحالة للنفس راسخة يصدر عن صاحبه في يسر وسهولة، فالذي يصدق مرة لا يوصف بأن خلقه الصدق ومن يكذب مرة لا يقال إن خلقه الكذب بل العبرة بالاستمرار في الفعل حتى يصير طابعًا عامًا في سلوكه.

الأخلاق الإسلامية والأخلاق النظرية

تختلف الأخلاق الإسلامية عن الأخلاق النظرية في جوانب متعددة، منها:

١- أن الأخلاق الإسلامية أخلاق عملية هدفها التطبيق الواقعي وبيان طرق التحلي بها خلافًا للأخلاق الفلسفية التي تركز على الجانب النظري فقط.

٢- مصدر فمصدر الأخلاق الإسلامية الوحي، ولذلك فهي قيم ثابتة ومثل عليا تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه، أما مصدر الأخلاق النظرية فهو العقل البشري المحدود أو ما يتفق عليه الناس في المجتمع «العرف»، ولذلك فهي متغيرة من مجتمع لآخر ومن مفكر لآخر.

٣- مصدر الإلزام في الأخلاق الإسلامية هو شعور الإنسان بمراقبة الله عز وجل له، أما مصدر الإلزام في الأخلاق النظرية فهو الضمير المجرد أو الإحساس بالواجب أو القوانين الملزمة.

خصائص الأخلاق الإسلامية

تتصف الأخلاق الإسلامية بصفات تميزها عن سواها من الأخلاق النظرية المادية منها:

١- واقعية توائم بين الروح والجسد فلا تصادر حاجة الجسد من الشهوات والرغبات بل تضعها في إطارها الشرعي، فرغبة البدن لابد من إشباعها بضوابط شرعية، ولذلك فالقرآن عبر عن مصادرة رغبة البدن بأنها رهبانية مبتدعة:

إعداد/ أسامة سليمان

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، فالآيات توضح حق الإنسان في إشباع رغباته بالضوابط الشرعية مع إشباع الروح بالذكر والطاعة والعبادة، ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

٢- عامة صالحة لكل إنسان ولكل زمان ومكان مع اتصافها بالسهولة واليسر ورفع الحرج يقول سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.

٣- لا تحكم على الأفعال بظاهرها فقط ولكن تمتد إلى النوايا والمقاصد والبواعث التي تحرك هذه الأفعال الظاهرة يقول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

٤- مبادئها تقنع العقل وترضي القلب والوجدان، فما من نهي شرعي إلا معه مسوغات ودوافع تحريمه يقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، وكذلك الأخلاق الإسلامية تقبلها الفطرة السليمة ولا يرفضها العقل الصحيح.

غاية الأخلاق الإسلامية

نقصد بالغاية الهدف الأقصى للأخلاق الإسلامية، فلكل سلوك إنساني غاية، إلا أن الغاية العظمى للمؤمن هي تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، ولا تتحقق السعادة في الدنيا إلا بالإيمان وفعل الواجبات وترك المحرمات، عند ذلك يشعر العبد برضا ربه عليه، فليست السعادة في كثرة المال ولا في الملك أو الشهرة والمكانة الاجتماعية والحالة الصحية، وإنما السعادة الحقيقية في رضا الله عن العبد، أما في الآخرة فتتحقق السعادة للعبد في أسمى درجاتها بدخول الجنة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

وهكذا تتضافر الآيات لتوضح الغاية للمؤمن في الدنيا والآخرة، أما أصحاب الغايات الدنيوية فحالهم كحال من يسعى وراء السراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه، يقول جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

والسعادة هي الشعور بالارتياح والأمن والسكينة والطمأنينة والنعيم والرضا، وهذه السعادة تتفاوت في أصحابها على حسب ما يتوفر لهم من أسبابها.

والله من وراء القصد.



عبر فروع الجماعة وقراء المجلة

تدعيمًا للنشر في كافة الفروع الشرعية، وتفعيلا لمزيد من التواصل بين المجلة وقرائها في فروع الجماعة خصوصًا وعلى الساحة الدعوية عمومًا، وحرصًا على تنشيط البحث العلمي والمقال الشرعي في الصحافة الإسلامية بما يعود على المجلة بمزيد من القوة والتأثير ويعود على الساحة الدعوية بمزيد من النفع الذي يمكن أن نقدمه لكل مسلم بحيث لا يستغنى عن مجلتنا مسلم ولا يخلوا منها بيت..

رأت إدارة المجلة أن تحث الإخوة القراء والكُتَّاب على إعداد مواد شرعية جديرة بالنشر، تمتاز بالتأصيل الشرعي السلفي، وبالعرض الجيد لمضمون موضوعي يهتم بمعالجة قضية مهمة مع التوثيق العلمي بذكر المراجع والمصادر التي اعتمدها الكاتب وتخريج الآيات والأحاديث مع رجاء مراعاة التالي:

أولا: أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القُرّاء.

ثانيًا: أن لا يزيد المقال عن أربع صفحات، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.

ثالثًا: إرفاق سيرة ذاتية للكاتب مع المقال موضح فيها العنوان والتليفون، ويفضل معرفة صلته بفرع الجماعة في المكان الذي يُقيم فيه معتمدًا ذلك بختم الفرع.

رابعًا: ألا يكون المقال قد سبق نشره جزئيًا أو كليًا في مكان آخر، وألا يكون قد خوطبت به جهة أخرى غير مجلة التوحيد، وألا يرسل لأي جهة أخرى قبل ستة أشهر من إرساله للمجلة.

- ويُرجى إرسال أصل المقال الواضح (ويفضل أن يكون مكتوبًا على الكمبيوتر) ويمكن إرساله على العنوان الإلكتروني للمجلة، والموضح في بطن الغلاف مع إخطارنا تليفونيًا بذلك.

ومجلة التوحيد تسعد بمقالاتكم واقتراحاتكم ومشاركاتكم الجادة.

مفاجأة الدعوة

يقدم لأصحاب الأقلام الجادة المنتخبة التي تشارك بمقالاتها في المجلة لأكثر من ثلاث مقالات في العام، يقدم لها اشتراك سنوي هدية من المجلة للكاتب وهدايا أخرى قيِّمة إن شاء الله.

كشاف مجلة التوحيد لعام ١٤٣٦هـ

الموضــــــوع	الكاتب	العدد
الافتتاحية: الاعتبار بآيات الله- الصحابة أمان للأمة- بدعة أمريكية جديدة- كتب الشيعة ترد غلوهم في آل البيت- الذلة والصغار على من أهمل القرآن- أمة الطهارة- من هو الأعظم؟!- ماذا نريد من الرئيس؟ رمضان والتوبة- رؤية عقدية لأخبار عالمية- فضل الذكر والذاكرين - نداء التوحيد.. والذكر من الحجيج.	الرئيس العام د. جمال المراكبي	١ : ١٢
كلمة التحرير: عام جديد بين آلام وآمال- أمة استحكمت عليها النوازل- صوت الحق ومصرع الخرافة- انحرافات الصوفية بين الماضي والحاضر (١)، (٢)- المستجيرون من الرمضاء بالنار- الملك فهد في رحاب الله- استقبال رمضان ومصائب الأمريكان- انتقام الله من الجبابرة- حال المسلمين بعد رمضان- وقفة مع النفس في موسم الطاعات.	رئيس التحرير أ. جمال سعد حاتم	١ : ١٢
باب التفسير: سورة الحاقة (٣)، (٤)- سورة المعارج (١)- هذا بيان للناس- سورة المعارج (٢)- سورة نوح (١)- سورة الجن (١) (٢) (٣) (٤)- سورة المزمل (١).	د. عبد العظيم بدوي	١ : ١٢
باب السنة: الهجرة بين الأمس واليوم- الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك- تكفير المسلمين من معتقد فرقة الخوارج- السبل المثلى لإصلاح البيوت- صدقة المرأة على زوجها وولده- صفة النبي ﷺ في التوراة- هدي النبي ﷺ في القضاء- أعمال توجب سخط الله- الاعتكاف والعشر الأواخر- منزلة أصحاب رسول الله ﷺ- الحج عن الغير- رضاع الكبير.	الشيخ/ زكريا حسيني	١ : ١٢
تحذير الداعية من القصص الواهية: قصة اللجوء إلى الغار عند الشدائد- قصة ضرب النبي ﷺ للمجنون- قصة أبي هريرة والنبي ﷺ- قصة اسم الصدر «أهـ» - قصة الصحابية التي أمرها النبي ﷺ بالسفور- قصة كشف عمر بن الخطاب عن ساقي أم كلثوم بنت علي- قصة قصاص عكاشة من النبي ﷺ ووفاته- قصة خروج الجرو الأسود من المجنون- قصة	الشيخ/ علي حشيش	١ : ١٢

الموضوع	الكاتب	العدد
دخول عبد الرحمن بن عوف الجنة حبوًا- قصة النخلة التي جُعلت سببًا في نزول سورة- قصة سؤال موسى عليه السلام ربه شيئًا يذكره به.		
الفتاوى:		
فتاوى المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.	لجنة الفتوى بالمركز العام	٣ : ١٢
فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية.		١ : ٢ ، ٦ : ١٢
فتاوى دار الإفتاء المصرية.	دار الافتاء المصرية	١ : ٣
الأسرة المسلمة في ظلال التوحيد:	الشيخ/ جمال عبد الرحمن	١ : ١٢
باب السيرة «القصة في كتاب الله»:		
قصة داود عليه السلام دروس وعبر.	الشيخ/ عبد الرزاق السيد عيد	
قصة سليمان عليه السلام (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)		٣ : ٨
أسئلة القراء عن الأحاديث.	الشيخ/ أبو إسحاق الحويني	١ : ٣، ٥، ٨
دراسات شرعية:		
درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة- مسائل في السنة (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) - النسخ في السنة الوضع في السنة ـ الترجيح في السنة.	الشيخ/ متولي البراجيلي	١ : ٨ ، ١٠ : ١٢
مشروع حفظ السنة:	الشيخ/ علي حشيش	١ : ١٢
واحة التوحيد:	الشيخ / علاء خضر	١ : ١٢
مختارات من علوم القرآن:		
وجوه إعجاز القرآن الكريم	الشيخ/ مصطفى البصراتي	١
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.		٢
فضل القرآن (١) (٢) - تلاوة القرآن (١) (٢)		٥ : ٨
فضائل الفاتحة (١).		١٠
منبر الحرمين:		
صفات الفرقة الناجية	الشيخ/ علي الحذيفي	١
دروس من التاريخ الإسلامي	الشيخ / عبد الرحمن السديس	٢
الإعلام بأنواع الكلام	الشيخ/ صلاح البدير	٣
حديث عن المصطفى المختار	الشيخ/ عبد الرحمن السديس	٤
فضل أزواج النبي ﷺ	الشيخ/ عبد المحسن القاسم	٦
التحذير من الاغترار بالدنيا	الشيخ/ علي الحذيفي	٧
المبادرة بالأعمال الصالحة	الشيخ/ صلاح آل طالب	٨
رمضان شاهد لك أو عليك - الغفلة عن شكر النعمة	الشيخ/ صلاح بن حميد	٩ : ١٠
السنة النبوية وأثرها في صلاح الأمة.	الشيخ/ علي الحذيفي	١١
اتبعوا ولا تبتدعوا:		
تبصير الخلف بوجوب اتباع السلف- الغلو وأثره السيئ في الأمة- العبادة الصوفية في ميزان الشريعة	الشيخ/ معاوية محمد هيكل	٢ : ١٢

الموضوع	الكاتب	العدد
(١)، (٢)- الشريعة والحقيقة عند الصوفية- حقيقة العلاقة بين التصوف والتشيع- حقيقة الشيخ والمريد عند الصوفية- نصائح وتنبيهات للصائمين- وسائل نيل البركات- مناسك الحج وأخطاء الحجيج - الحج ومظاهر التوحيد.		
من روائع الماضي:		
تفسير القرآن الكريم	الشيخ/ محمد حامد الفقي	١
هذه عقيدتنا	الشيخ / عبد الرزاق عفيفي	٢
صناعة الكرامات	الشيخ/ أبو الوفاء درويش	٤
السنة لا يُستغنى عنها بالقرآن	الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني	٥
بحث في آية السحر	الشيخ/ محمد عبد الحليم الرمالي	٦
فضائل شهر رجب - أنصار السنة والانتخابات.	الشيخ/ صفوت الشوادفي	٧، ١٠
قيام رمضان	الشيخ/ محمد صفوت نور الدين	٩
الإعلام بسير الأعلام:		
مسعر بن كدام- إسماعيل بن عُلية.	الشيخ/ مجدي عرفات	١، ٣
أبو بكر بن عياش- وكيع بن الجراح.		٤، ٥
يزيد بن هارون- سحنون أبو سعيد.		٦، ٧
الإمام البخاري- بقي بن مخلد.		٨، ٩
موضوعات متفرقة:		
ـ لمحات من حياة الإمام الصنعاني رحمه الله (٣) (٤) (٥)	د. عبد الله شاكر	١ : ٣
كلمات للدعاة في الدعوة إلى الله (١) (٢).	نائب الرئيس العام	٤ : ٥
سد الذرائع في مسائل العقيدة (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧).		٦ : ١٢
ـ دمعة على أمة القرآن- المشروع في شهر شعبان-	التحرير	٥ ، ٨
رمضان والقرآن- أفضل أيام الدنيا.		٩ ، ١٢
ـ دلائل النبوة- الأنبياء أفضل الخلق مطلقاً	الشيخ/ أسامة سليمان	١، ٢
الإيمان بالرسالات- القضاء والقدر (١)، (٢)		٣، ٤، ٥
الخوارج بين الماضي والحاضر- العمرة في رمضان		٨، ٩
مظاهر الغلو في الدين- إليك أيها الحاج		١٠، ١١
الأخلاق في الإسلام.		١٢
ـ دروس تربوية من الهجرة.	الشيخ/ معاوية محمد هيكل	١
ـ القول الصريح عن حقيقة الضريح- الموت والقبر في	أ/ محمود المراكبي	١ ـ ٢
الإسلام- تحذيرات نبوية فيما يتعلق بالأضرحة		٣
والقبور- حكم الدين في الأضرحة- دفع شبهات		٤ ـ ٥
القبوريين.		
ـ هدي النبي ﷺ في التعامل مع المخطئين (١) (٢) (٣) (٤)،	الشيخ/ محمد فتحي عبد العزيز	٢ : ٥
صور مرفوضة في التعامل مع المخطئين -		٦

إعلام الناس بأحكام اللباس (١) (٢) – لباس النبي ﷺ - لباس الرجال		٨ : ١٠ ١١
ـ العلمانيون وزلزال تسونامي.	د. الوصيف علي حزة	١
ـ عِبر الأنام في انقضاء الأعوام.	الشيخ/ علي عبد العزيز الشبل	١
ـ التحذير من صحبة السوء – تعجيل المنفعة بحرمة الغناء عند الأئمة الأربعة– فتور الهمة.	الشيخ/ صلاح عبد المعبود	١، ٤ ٦
ـ من كبار علماء الحرمين – حُرمة مكة والبيت الحرام	الشيخ/ محمد بن أحمد سيد أحمد	٢، ١٢
ـ وللرجال عليهن درجة (١) (٢). سعادة المرأة بالإسلام– صفات المنافقين الدنيا ساعة فاجعلها طاعة – البيت العتيق	الشيخ/ شوقي عبد الصادق	٢، ٣ ٤، ٧ ٩، ١٢
ـ عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري.	الشيخ/ حسن عبد الوهاب البنا	٢
ـ كيف لا تخاف الله (١) (٢)؟! ـ لماذا لا نخاف الله؟	الشيخ/ علي الوصيفي	٦، ٧، ٨
ـ وفاءً لا غدرًا– رمضان مدرسة تربوية– الحج مدرسة تربوية.	الشيخ/ محمد عاطف التاجوري	٨، ٩، ١٢
ـ تحبير المقال في حكم الاحتفال.	الشيخ/ عبد الرحمن السديس	٣
ـ إبراء ذمة المسلمين من إمامة المرأة بالمصلين– التفصل لبعض ما ورد فيه التفضيل.	المستشار/ أحمد إبراهيم السيد	٣، ٥
ـ مفاتيح الخير ومفاتيح الشر.	د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر	٣
ـ صفات الأفعال عند السلف– التأويل السائغ وغير السائغ في صفات الأفعال.	أ. د/ محمد عبد العليم الدسوقي	٤، ٥
ـ أنصار السنة تدين التفجيرات.	د. عبد العظيم بدوي	٧
ـ حماية أمن مصر واجب الجميع.	الشيخ/ جمال عبد الرحمن	٣
ـ فقه الاستئذان– الصلح بين الناس وصية ربانية– أحكام العيد وآدابه– سبل الشيطان لإهلاك الإنسان – فقه الأضحية	الشيخ/ صلاح نجيب الدق	٣، ٧ ١٠، ١١ ١٢
ـ التوحيد الخالص والاعتقاد السليم.	الشيخ/ محمد يسري	٤
ـ كيف تقضي الإجازة– الثبات على الطاعات.	الشيخ/ أحمد عبد المجيد مكي	٥، ١٠
ـ لغتنا أو الهاوية– ليلة النصف من شعبان اتباع لا ابتداع.	الشيخ/ حسين الدسوقي	٦، ٨
ـ أدب التناجي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.	الشيخ/ أحمد إبراهيم يوسف	٦
ـ إلى من يهوي سكن الجنة – من آداب المساجد.	الشيخ/ صلاح عبد الخالق	٦، ٨
ـ أسباب المغفرة– من أقوال الرسول ﷺ (١) (٢) – المسارعة إلى الجنات.	الشيخ/ وليد أمين الرفاعي	٨، ٩ ١٠
ـ فقه زكاة الفطر.	الشيخ/ أبو بكر الحنبلي	٩
ـ التحذير من الغيبة.	الشيخ/ علاء خضر	٩
ـ التوبة وفضلها (١) (٢) (٣).	الشيخ/ محمد رزق ساطور	١٠، ١١، ١٢
ـ حول ظاهرة انتشار جراحات التجميل.	د. حسن حجاب	١١
ـ إخلاص العبادة لله في الحج– أحكام الذبائح.	الشيخ/ سعيد عامر	١١، ١٢
ـ التحذير من وسائل التنصير– العين حق.	اللجنة الدائمة للافتاء بالسعودية	١٠، ١١

دعوة للمشاركة

صدقة جارية ـ علم ينتفع به

بادر أخي المسلم وأختي المسلمة



بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانًا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشًا يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجمع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٣ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد.

نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

كما يمكنك المشاركة بدعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد

نحن بانتظاركم

